د. مسعود أحمد اغبارية*

تحالف التجمع والجبهة وقوة المواطنين العرب السياسية

مقدمة

مع تقديم موعد الانتخابات العامة في إسرائيل، إلى ٢٨ آذار ٢٠٠٦، بعد ان كان مقرراً إجراؤها في شهر تشرين الثاني ٢٠٠٦، بدأت الحملة الانتخابية باندفاع قوي بين المواطنين العرب، والصحف العربية مليئة بوجهات نظر وتصورات حول ماذا يجب ان يحدث في الوسط العربي. عقدت العديد من الاجتماعات التحضيرية لمثل هذا في العديد من الأماكن وما زالت هناك الكثير من الأسئلة التي يجب البت بها لان لها عواقب بعيدة المدى.[١] من الأسئلة التي يبرزها مواطنون عرب فلسطينيون في إسرائيل بشكل دراماتيكي اكثر من أي وقت مضى: "كيف نستطيع زيادة قوتنا السياسية، أي تأثيرنا على اتخاذ القرار السياسي في إسرائيل؟" ويتساءل آخرون، وبالطبع هناك علاقة مع السؤال الأول، هل ستستمر الشرذمة السياسية كما كانت في الانتخابات الماضية، ٢٠٠٣ وما قبلها، بوجود أحزاب سياسية متقاربة ذات قواسم مشتركة تعمل لتحقيق أهداف مشتركة ولكن بدون تحالف. وهل سيستمر زعماء التجمع والجبهة في وصف قوة أحزابهم بأنها في ارتفاع متزايد في الوقت الذي تدخل فيه منعطفا خطرا وخاصة بزيادة التحديات التي يواجهها المجتمع العربي في إسرائيل وبرفع نسبة الحسم في الانتخابات لتصل اليوم الى ٢ بالمائة، ومنع تقسيم فائض الأصوات بين الأحزاب بشكل زوجي حيث يتوصل الحزب إلى اتفاقية لفائض الأصوات مع الحزب القريب منه، الميزة كان من الممكن استثمارها. حقا وحقيقة، الشرذمة بطبيعتها تؤدي الى تبذير طاقات كبيرة بسبب ازدواجيات النشاط، وهدر الأصوات وفي النهاية ضعف في التأثير السياسي. من جهة أخرى، التعاون والتنسيق، إن لم يكن تحالف، يؤدي الى توسيع دائرة الخدمة والنشاط والمردود وبالنهاية التأثير.[٢]

بالوصول الى هذا المنعطف، هل هناك إمكانية لتدارك الأمر وتشكيل

* محاضر في كلية بيت بيرل

تحديدا، يرى هذا المقال أن قيام تحالف بين الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة (الجبهة) والتجمع الوطني الديمقراطي (التجمع)، في الظروف الصعبة التي يعيشها المواطنون العرب الفلسطينيون في إسرائيل، والتي من المتوقع ان تزداد صعوبة مع الوقت بسبب وجود سياسة تمييز عنصري مبرمجة للتخلص منهم بطرق شتى، إما بالتهجير "الطوعي" الى خارج الوطن، وهذا ما بدأنا نشاهده ونلمسه في الفترة الأخيرة، وإما بالمزيد من التدهور في حالتهم الاقتصادية والصحية على حد سواء، هو المطلب الأكثر واقعية ويستحق المناقشة بتعمق.

تحالف بين أحزاب عربية فاعلة على الساحة العربية في إسرائيل؟ من شاهد مؤتمر ممثلي الأحزاب في قرية إكسال في ٢ تشرين الأول ٢٠٠٥، الذي تم بثه على قناة "الجزيرة مباشر"، يرى في عيون وكلام وتعابير المشاركين كم كانت الدعوة صادقة للتحالف بين القوى السياسية الممثلة في الكنيست الإسرائيلي ممن شاركوا في المؤتمر. جميعهم، مع تحفظ معين من قبل ممثل التجمع، يرون ان عدم التحالف خطير على استمرار تمثيلهم في الكنيست. وجميعهم سمعوا بشكل جلي، من قبل بعض الحاضرين، مواقف شعبية تحذر من أن عدم إقامة وحدة او تحالف بين أحزاب عربية فاعلة، سوف تدفع أناساً لعدم التصويت، او التصويت لأحزاب أخرى. الجميع اجمع على أهمية زيادة نسبة المشاركين العرب في الانتخاب لأن نسبة منخفضة من المشاركين كما كان عام ٢٠٠٣ حيث بلغت ٦٢٪، سوف تقلل من عدد أعضاء الكنيست العرب.[٣]

في نفسه الوقت، بدأت تظهر احتجاجات شعبية وإعلامية عربية على استمرار الشرذمة أمام ما يجري من تطورات وخاصة مع تدفق زعماء مجالس محلية عربية لاجتماعات يقوم بها ممثلو أحزاب صهيونية متطرفة للانضمام الى حزب شارون الجديد "كديما"، كما حدث في كفر قرع حين قدم الوزير غدعون عزرا، وزير الأمن الداخلي في إسرائيل، وحزب العمل برئاسة عمير بيرتس، وحتى الليكود الحزب الذي فقد الكثير من ممثليه في الكنيست على اثر انسحاب شارون منه.[٤] كتب أحد الصحافيين متسائلا: "لماذا لا يتحالفون من اجل قطع الطريق على الأحزاب الصهيونية ووكلائهم في الوسط العربي لكسب الأصوات العربية؟ التحالف يا ساداتي هو قوة،والقوة تقنع الناخب العربي بضرورة التوجه إلى صندوق الاقتراع والإدلاء بصوته لكم".[٥]

التمعن بالحال الذي يعيش به المواطنون العرب الفلسطينيون في إسرائيل بشكل موضوعي، والتفكير في بناء استراتيجية عمل للحصول على حقوقهم الأساسية، يوصل الى استنتاج موضوعي مفاده ان هناك ضرورة لخلق تحالفات بين العديد من القوى السياسية الفعالة والقريبة على بعضها على الساحة العربية. ليست هناك مطالبة اليوم لوحدة جميع القوى حرصا على استمرار التعددية ووجود بيئة صالحة للتنافس من أجل الأفضل. الاعتقاد السائد هو أن في الوحدة قوة، وثبات وزيادة احتمال تحقيق الهدف المشترك بل احتمال أكبر لتوسيع دائرة النشاط لتشمل مجالات كثيرة حين تكون الطاقات محدودة. فعلى سبيل المثال، وإن لم يكن هذا موضوعنا بشكل مباشر بل يعكس وجود حالة غير سليمة يجب ان يوضع حد لها، لا مبرر لوجود حركة إسلامية جنوبية وأخرى شمالية، فكلاهما، إذا صح قول زعمائهم، يرتكز على تعليمات القرآن الكريم وسنة رسوله والسلف الصالح في إدارة الشؤون الخاصة والعامة. من جهة ثانية كلاهما يتصرف كتنظيم سياسي يسير وفق تقاليد متبعة من قبل غيرهم.

تحديدا، يرى هذا المقال أن قيام تحالف بين الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة (الجبهة) والتجمع الوطني الديمقراطي (التجمع)، في الظروف الصعبة التي يعيشها المواطنون العرب الفلسطينيون في إسرائيل، والتي من المتوقع ان تزداد صعوبة مع الوقت بسبب وجود سياسة تمييز عنصري مبرمجة للتخلص منهم بطرق شتى، إما بالتهجير "الطوعي" الى خارج الوطن، وهذا ما بدأنا نشاهده ونلمسه في الفترة الأخيرة، وإما بالمزيد من التدهور في حالتهم الاقتصادية والصحية على حد سواء، هو المطلب الأكثر واقعية ويستحق المناقشة بتعمق. يعلو سؤال مركزي مفاده هل هناك أرضية عملية لقيام مثل هذا التحالف

وهل عدم إقامته ينبع من مواقف ذاتية، يحاول أصحابها تغطيتها بكلاشيهات.[٦] يوجد اعتراف متزايد يشير الى أن المجتمع العربي في إسرائيل يعيش في أزمة حقيقية، والمطالب ببدء مناقشة هذه الأزمة تعبر عن وجود وضع صحي.[٧] سوف نرتكز في تحليلنا على الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي يعيش بها المواطنون العرب في إسرائيل والقواعد المشتركة في الطرح السياسي عن طريق تحليل الفكر الذي يطرحه التجمع وتلاؤمه مع فكر الجبهة على وجه التحديد أو بالعكس. مع العودة من وقت لآخر الى آراء نشطاء من الجانبين حول اجتماع التنسيق بين القيادتين في أيلول ٢٠٠٥. ارتكازا على هذا، نستطيع التوصل الى استنتاج ان الظروف مؤاتية اليوم أكثر من أي وقت مضى لخلق تحالف بين الجبهة والتجمع. عدم تحقيقه، يمكن اعتباره مشكلة وتقصيراً خطيراً لأن له مضاعفات مرتبطة بتحقيق حقوق المواطنين العرب الفلسطينيين في اسرائيل الأساسية الجماعية. ولمنع نزوح أصوات عربية الى حزب العمل برئاسة عمير بيرتس او ما سماه تحصين مناعة الشارع العربي، اقترح الصحافي وديع عواودة على السياسيين "بتوحيد صفوفهم او على الأقل التعاون فيما بينهم واستمرار الأجواء الطيبة بين الجبهة.. والتجمع.."[٨]

رغم اجتهادات كل طرف من الطرفين إبراز نفسه عبر سنوات طويلة على انفراد حتى يثبت للقارئ وجود فروق بين التنظيمين، قد يكون هذا مناسبا في الظروف التي كان يعيشها الفلسطينيون في الماضي حيث شهدوا بداية تنظيماتهم السياسية وكان كل تنظيم متحمس ان يثبت نفسه لوحده، لكن مع ما نراه الآن من تدهور في حياتهم بشكل عام، أصبح أمامهم طريق واحد حتى يتم تحقيق ما يصبون إليه من ضمان لبقائهم وتقدمهم وعيشهم بكرامة وبسلام: تحالف بين الجبهة والتجمع ولو على قاعدة الحد الأدنى: أ) كلا الحزبين بينهما قواسم مشتركة كبيرة، حيث يرتكزان على نفس المبادئ العامة وإن اختلفت الاجتهادات من وقت لآخر، ب) تاريخ القادة متشابه وتجربتهم واحدة وطويلة،[٩] ج) كلا الحزبين يمارسان بشكل مشترك الكثير من النشاط الهادف الى خدمة الجماهير العربية ومقاومة الظلم والتعسف من اجل حرية وازدهار الانسان في الأرض المقدسة وفي العالم اجمع. في التحالف تتوحد القوى لخوض معارك مشتركة على مستويات عدة منها في الانتخابات العامة والمحلية وفي اطر مهنية أخرى، ويزيد احتمال النجاح او التأثير على مجريات الأمور لأنه إن لم يزد عدد الأعضاء في الكنيست، فبالتأكيد يجعلهم اكثر فعالية ونجاعةً على مختلف الأصعدة.

تشير أبحاث علمية ان لاستمرار ممارسة التمييز العنصري وانتهاك الحقوق الإنسانية الأساسية المستمر ضد الجماهير العربية الفلسطينية في اسرائيل منذ قيام اسرائيل والذي تزايد في السنوات الأخيرة وخاصة منذ بداية سنة ٢٠٠٠ بشكل لم يسبق له مثيل، عواقب وردود فعل متعددة. فهي، تدفع المجتمع العربي الفلسطيني في إسرائيل الى السير في اتجاه أربع مراحل مهمة، مترابطة ذات علاقة ايجابية قوية فيما بينها: ١) تزيد وعي المواطنين لواقعهم بشكل موضوعي اكثر فتكون قراءتهم للخارطة السياسية سليمة ومتعددة الأبعاد. ٢) تزيد ارتباط المواطنين العرب الفلسطينيين في اسرائيل وحرصهم على مصلحتهم الجماعية التي تتحدد مع وعلى اثر تحديد هويتهم الجماعية، الهوية العربية الفلسطينية، ٣) تزيد دعم التوجه للتأطير على المستويين الفردي والجماعي ودعم العمل الجماعي المشترك من بينها التحالفات، ٤) تؤدي الى ارتقاء وتطور العمل الجماعي المعارض لسياسات التحكم والظلم للحصول على الحقوق الأساسية (المساواة، العدل، الأمن على اختلاف أنواعه) وهذا ما يمكن تسميته بالعنف السياسي.[١٠]

فرضيات يرتكز عليها طرح هذه الدراسة:١) يعيش المواطنون العرب الفلسطينيون في إسرائيل في ظروف صعبة وقد زادت الصعوبات في السنوات الأخيرة لدرجة لم يعهدوها من قبل. هناك شعور عند الكثير منهم أنهم يعيشون في سفينة مشتركة تعصف بها الرياح من كل جانب، وليس من حق احد، مهما كانت مكانته او مصادر شرعيته، ان يتناول حصته، او حصة تنظيمه السياسي، ويقول إنني أستطيع ان افعل ما أشاء بها. المصلحة الجماعية مستهدفة، وليس لأحد الحق بالتلاعب بمصير المواطنين العرب بحجج واهية، ٢) يعيش المجتمع العربي حالة تحد حضاري وليس أمامه في المرحلة المقبلة إلا المزيد من خلق القواعد المشتركة والتنظيم الفعال من أجل تطوير وسائل العمل للحصول على الحقوق الأساسية. يصف عضو الكنيست طلب الصانع هذا الوضع بشكل جميل حين يقول: "دولة إسرائيل لا تعطينا الفرصة ان نختلف".[١١] ٣) هناك تأييد كبير، يتطور مع الوقت منذ هبة أكتوبر ٢٠٠٠ ، لفكرة توحيد القوى الفاعلة في الوسط العربي في إسرائيل. وقد تجسد هذا مؤخرا وبشكل واضح في المشاركة الجماعية الشاملة في مسيرة الوفاء للشهداء في ١ تشرين الاول ٢٠٠٥. ٤) يشكل انتخاب عمير بيرتس، رئيسا لحزب العمل الإسرائيلي في ١٠ تشرين الثاني ٢٠٠٥، تحديا لجميع الأحزاب العربية في اسرائيل، وصفه عضو الكنيست جمال زحالقة أنه إعصار تسونامي السياسي في اسرائيل.[١١] إنه بداية تغيير جوهري يمر به المجتمع الإسرائيلي حيث السياسة في اسرائيل لم تعد كما كانت في الماضي، سياسة الحزب وقائد الحزب نفسه يلعب دورا

الخلافات المتوقعة في بدء أي محادثات للتحالف سوف تتمحور بالأساس حول آلية تشكيل التحالف ومن سيكون المرشح الأول في قائمة الكنيست. وقد حددها بشكل واضح، المحامي سعيد نفاع، ممثل التجمع الوطني. هذه معضلة تواجه الكثير وهناك حل عام لها: من يحصل على المكان الأول عليه التنازل عن المكان الثاني والثالث. مع هذا، يجب ان لا نقلل من أهمية هذا الأمر وخاصة حين نتحدث عن ثقافة سياسية تلعب فيها العاطفة دورا اكبر مما يجب ان يكون في اتخاذ القرار.

مهماً،[١٢] وحيث هناك عودة للتقسيم الطائفي في اسرائيل من جديد. فقد كشف استطلاع مركز ادفا ان الهوة بين الاشكناز والشرقيين تتسع ويزيد معدل دخل الاشكنازي عن الشرقي بنسبة ٣٦٪، في نفس الوقت هناك اضمحلال للطبقة الوسطى في اسرائيل التي تعتبر ركيزة التقدم.[١٣] ٥) تحطم حزب الليكود، وانشقاق شارون عنه وتشكيله حزب "كديما" يزيد الحاجة لخلق تحالفات عربية مع أحزاب يهودية تدعو الى السلم والمساواة الحقيقية لجني ثمرة نضالات الشارع العربي منذ عقود طويلة. ٦) رغم صعوبات جمة، نستطيع الإشارة الى وجود روح تفاؤل عند أعداد متزايدة من المواطنين العرب في إسرائيل. عندما طرح سؤال في استطلاع شامل عام ١٩٨٨ حول مشاركتهم السياسية في النظام السياسي في اسرائيل، وافق ٤٠,٦٪ منهم على الرأي القائل: "سيأتي يوم تكون فيه الجبهة جزءاً من الائتلاف الحاكم في اسرائيل" وعارضها ٣٥,٩٪.[١٤] ٧) يولي المواطنون العرب الفلسطينيون في اسرائيل أهمية للانتخابات كوسيلة ديمقراطية للتأثير على اتخاذ القرار في إسرائيل، وأن التصويت للأحزاب العربية، رغم كونها أحزاب معارضة، يزيد من فعالياتها ونشاطاتها لخدمة المواطنين العرب. في استطلاع ميداني شامل عام ١٩٨٨ أيد اغلب المواطنين العرب في اسرائيل ٦٢,٤٪ الرأي القائل: ان التصويت في الوسط العربي في إسرائيل ضد أحزاب صهيونية هو بحد ذاته وسيلة احتجاج مؤثرة ضد سياسات الحكومة تجاه المواطنين العرب.[١٥] ٨) وجود قوتين سياسيتين على الساحة العربية هو أمر صحي، يحافظ على جو للتنافس، الأمر الذي يساعد على زيادة نسبة المشاركين في الانتخاب ويزيد تمثيل للجماهير العربية في الكنيست.

ماهية التحالف

تختلف التحالفات بين الأحزاب السياسية في المواصفات ويجمعها احتفاظ كل طرف بمقومات استمرار وجوده المستقل. من يواكب تطور الأحداث في الوسط العربي في الفترة الأخيرة يجد تردد هذا التعبير بشكل متواصل. على سبيل المثال، يتحدث التجمع عن "التحالف المبدئي..التحالف مع القوى الوطنية على أساس برنامج سياسي واجتماعي متفق عليه وبناء على الندية والإنصاف في تشكيل اللوائح الانتخابية."[١٦] ويتحدث باسل غطاس، أحد زعماء التجمع، عن تحالف ب "التعاون بين الأحزاب الثلاثة القائمة بشكل مسهب على كافة الأصعدة والمشاركة الفعالة من اجل زيادة نسبة التصويت عند العرب، في الوقت نفسه يكون هناك تنافس ولكن بشرف ونتعاون معا كي يحصل كل حزب على أصواته، أي على حصته من الأصوات."[١٧] من جهة ثالثة، يرى سميح غنادري التحالف بإقامة " قيادة مشتركة من التيارات الثلاثة فوراً للعمل على ضمان رفع نسبة التصويت،وتخفيض التصويت للأحزاب الصهيونية، ومنع هواة حرق الأصوات من خوض الانتخابات في قوائم شخصية ساقطة حتماً." وعلى هذه القيادة التخلي عن محاربة بعضها البعض كتيارات وطنية والكف عن التصرف بحزبية قبلية، أو بقبلية حزبية."[١٨]

الخلافات المتوقعة في بدء أي محادثات للتحالف سوف تتمحور بالأساس حول آلية تشكيل التحالف ومن سيكون المرشح الأول في قائمة الكنيست. وقد حددها بشكل واضح، المحامي سعيد نفاع، ممثل التجمع الوطني.[١٩] هذه معضلة تواجه الكثير وهناك حل عام لها: من يحصل على المكان الأول عليه التنازل عن المكان الثاني والثالث. مع هذا، يجب ان لا نقلل من أهمية هذا الأمر وخاصة حين نتحدث عن ثقافة سياسية تلعب فيها العاطفة دورا اكبر مما يجب ان يكون في اتخاذ القرار. لتجاوز مثل هذه العقبات وغيرها يجب اجتياز ثلاث مراحل : أولا، الاعتراف بوجود تقصير من جانب القوى السياسية الفاعلة بسبب عدم وجود تحالف يرتكز على الحد الأدنى[٢٠]، ثانيا،

ما يثير الاهتمام عند المواطن العربي أن هناك إدراكاً متزايداً عند قيادتي الجبهة والتجمع من زيادة التحديات التي يواجهها المواطن العربي الفلسطيني في إسرائيل في السنوات الأخيرة. والتحدي يسير وفق نظرية توينبي التي تدعي ان التقدم الحضاري يتم نتيجة رد فعل للتحدي في ظروف صعبة. التحديات تولد ما يعرف ب "حافز الصعوبات" الذي يلعب دورا محفزا للقيام بعمل او نشاط او طرح فكرة من اجل تغيير ما هو قائم من اجل الأفضل. لذلك فزيادة قوة المواطنين العرب السياسية هي مظهر حضاري يتطور نتيجة تحالف قوى سياسية عربية تتمتع بالكثير من القوا سم المشتركة. تعبد الطريق لمواصفات للتعامل مع الآخرين ومع الذات.

البدء بنية سليمة وصادقة وإصرار كبير على تحقيق الهدف. ثالثا، أخذ الأمور التالية بعين الاعتبار: ١) حصل كلاهما في انتخابات ٢٠٠٣ على ٥٠,٢٪ من أصوات الناخبين العرب من مجموع ٧٥,٨٪ من الأصوات العربية التي صوتت لأحزاب عربية (غير صهيونية). ٢) خاضت الجبهة الانتخابات متحالفة مع الحركة العربية للتغيير بزعامة احمد طيبي وحصلا معا على ٢٨,٨٪ من الأصوات العربية لينجح عضوان من الجبهة في الكنيست بالإضافة الى احمد طيبي، وحصل التجمع، في المقابل، على ٢١,٤٪ من الأصوات العربية وليحصل وحده على ثلاثة أعضاء في الكنيست.

انطلاقا من طبيعة العلاقات بين الحزبين والعوامل الأخرى المؤثرة نرى ان على التحالف ان يكون محدد المعالم ويشمل عدة شروط من أبرزها: ١)محافظة كل حزب على كيانه دون أي مس بأطره التنظيمية المختلفة، ٢) تقام قائمة مشتركة لانتخابات الكنيست، ٣) يتم توحيد اطر بيروقراطية لمنع الازدواجية وهدر الطاقات، مع استمرار العمل المنفصل في المؤسسات المهنية التابعة لكل حزب كي تستمر المنافسة والإبداع ٤) توحيد النشاطات السياسية بشكل مبرمج ودقيق وخاصة تلك التي تتطلب حضورا جماهيريا واسعا لتزيد إمكانية نجاحها، ٥) توحيد القوائم في الانتخابات المحلية لفرض وجود أحزاب سياسية على الساحة المحلية حيث لم يعد للعائلية قاعدة قوية تستند إليها، وارتفعت مكانة المصالح الفردية ومجموعات الضغط الآخذة في التطور والتي يمكن ان تقوم الأحزاب السياسية بتلبية طلباتها.

ندرك جيدا إمكانية حدوث "تعزز" عند بعض الجهات من اجل زيادة أوراقها ساعة مفاوضات التحالف، وهذا ليس مأخذاً سلبياً إن مورس من قبل الأطراف. أمثلة:[٢١] محاولة التجمع البروز بأنه غير مكترث بالتحالف، وكأن الأمر لا يهمه كما تبين من خطاب سعيد نفاع أمام اجتماع إكسال في ٢ كانون الأول ٢٠٠٥، او قرار اللجنة المركزية للتجمع الذي حدد "ان الفرصة متاحة ليحقق الحزب (التجمع) نصراً كبيرا في الانتخابات البرلمانية المقبلة،" او من تصريحات قادة التجمع المتكررة ان التجمع في ارتفاع، وعدم تلهف عزمي بشارة، من تطبيق تحالف بقوله إنه من الخطأ الاعتقاد أن قائمة موحدة تحقق عدداً أكبر من المقاعد في الكنيست. في ١٩٧٧، يضيف بشارة، كانت هناك قائمة واحدة وحصلت على ٥ أعضاء كنيست، وبعد أن خاضتها أحزاب أخرى حصلت على ١٠ أعضاء كنيست" [٢٢] ولم يقصر زعماء الجبهة في انتهاج هذا الأسلوب. فتصريحات زعماء الجبهة المتكررة التي تظهر نية بالاحتفاظ بتحالف الجبهة مع احمد طيبي ما هي إلا مناورات تكتيكية من أجل الحصول على المكان الأول في ترتيب القائمة المتوقعة فيما إذا تم تحالف بين الجبهة والتجمع.[٢٣]

التحديات كبيرة، زادت في السنوات الأخيرة

ما يثير الاهتمام عند المواطن العربي أن هناك إدراكاً متزايداً عند قيادتي الجبهة والتجمع من زيادة التحديات التي يواجهها المواطن العربي الفلسطيني في إسرائيل في السنوات الأخيرة. والتحدي يسير وفق نظرية توينبي التي تدعي ان التقدم الحضاري يتم نتيجة رد فعل للتحدي في ظروف صعبة.[٢٤] التحديات تولد ما يعرف ب "حافز الصعوبات" الذي يلعب دورا محفزا للقيام بعمل او نشاط او طرح فكرة من اجل تغيير ما هو قائم من اجل الأفضل. لذلك فزيادة قوة المواطنين العرب السياسية هي مظهر حضاري يتطور نتيجة تحالف قوى سياسية عربية تتمتع بالكثير من القوا سم المشتركة. تعبد الطريق لمواصفات للتعامل مع الآخرين ومع الذات.

بالإضافة إلى هذا، من يتفحص نتائج استطلاعات أجريت في السنوات الأخيرة، وتطورات بنيوية مرتبطة بالمواطنين العرب يتوصل إلى قناعة انه يجب بدء الخطوات لأخذ الأمور بالأيدي وربما من بين الخطوات الأولى الضرورية لمثل هذا التطور هو تحالف الجبهة والتجمع تحت سقف واحد.

قسم من القيادات السياسية العربية يرى التحديات من زاوية استمرار بل زيادة سياسة التمييز ضد المواطن العربي، وقسم يراها تزيد بسبب انخفاض نسبة تصويت المواطنين العرب. على سبيل المثال، يشير باسل غطاس، عضو المكتب السياسي للتجمع، الى عدة تحديات تقف أمام الناخب العربي: الأول هو رفع مستوى الحسم الى ٢ بالمائة حيث سيتطلب من كل حزب الحصول على حوالي ٨٠ ألف صوت حتى ينجح في عملية توزيع مقاعد الكنيست القادمة. ثانيا، ازدياد احتمال زيادة التصويت للأحزاب الصهيونية بسبب عمير بيرتس وحزب شارون الجديد. يخلص غطاس إلى وجوب وجود مصلحة مشتركة للأحزاب العربية في مواجهة هذين التحديين معاً لأن فيهما "الخطر الأول والرئيسي على كل حزب بمفرده." ثم يتطرق الى ضرورة زيادة نسبة المشاركة في الانتخاب حيث تنخفض كلما، وفق ما اقتبسه عن استطلاعات مركز مدى الكرمل، زادت اللامبالاة، وطالب أن "تقوم الأحزاب العربية، من أجل زيادة نسبة المشاركة في الانتخاب بوضع "استراتيجية مشتركة ومعتمدة وبإدارة تنفيذية ومالية مشتركة.[٢٥]

هذا الإدراك بحده يعكس زيادة في الجاهزية عند المواطنين العرب للتصدي، وللاعتماد على الذات والإصرار على تحصيل ما يصبون إليه باستخدام وسائل شرعية مختلفة. بحث ميداني اجري عام ١٩٨٨ حدد ازدياد قوة الاعتماد على الذات في مواجهة التحديات وتهميش الرغبات والطموحات الشخصية الانفرادية وإزدياد أهمية الصالح العام. يؤكد د. أسعد غانم، متخصص بشؤون المواطنين العرب، بأن هناك تطوراً نوعياً في ظروف التعبئة السياسية الجماعية للمواطنين العرب في إسرائيل في العقود الثلاثة الماضية،[٢٦] مما يزيد التقارب بين مختلف القوى السياسية التي طرحت الدفاع عن حقوق العرب كأساس لبرامجها، لأنها مستهدفة وإن اختلفت درجات الاستهداف.[٢٧]

من يتتبع التطورات في سياسة دولة اسرائيل تجاه المواطنين العرب يجد تدهورا في السنوات الأخيرة وصل إلى درجة ان أكثر من ثلثي المواطنين اليهود الاسرائيليين (٦٩٪) يرفضون اندماج العرب في الدولة.[٢٨] يصف ايمن عودة، احد نشطاء الجبهة في إسرائيل هذا الوضع بقوله: "انتشرت العنصرية في إسرائيل انتشاراً واسعا جداً في السنتين الأخيرتين...ويستخدم بعض غلاة العنصرية في بلادنا شعارات عنصرية من بينها: "عربي جيد..عربي ميت"، لا يوجد عرب، لا يوجد أعمال انتحارية"، "ترانسفير= سلام وأمن".[٢٩] ويرى التجمع هذا الخطر كما يلي: تجري على الساحة العربية منذ اندلاع انتفاضة القدس والأقصى محاولات إسرائيلية معلن عنها لمكافحة "خطر العرب الديمغرافي" بالوسائل التالية: ١) التشكيك بنجاعة النضال الوطني للعرب، ٢) التحريض على القوى الوطنية والقومية والتآمر عليها. ٣) تقسيم العرب الى حمائل وطوائف وعشائر، ٤) تقوية الاسرلة بين صفوفهم. ومن المتوقع ان تبدأ حملة جديدة لتهويد الجليل والنقب برئاسة شمعون بيريس مما سيزيد الخناق على المواطنين العرب لأن هذه الحملة تتجاهل الاعتراف بعشرات القرى العربية.[٣٠]

بالإضافة إلى هذا، من يتفحص نتائج استطلاعات أجريت في السنوات الأخيرة، وتطورات بنيوية مرتبطة بالمواطنين العرب يتوصل إلى قناعة انه يجب بدء الخطوات لأخذ الأمور بالأيدي وربما من بين الخطوات الأولى الضرورية لمثل هذا التطور هو تحالف الجبهة والتجمع تحت سقف واحد.[٣١]

وفق استطلاع قامت به جمعية عدالة عام ٢٠٠٣ يصف ٩٣,٢٪ من المواطنين العرب سياسة الدولة تجاههم بأنها غير عادلة، ٩٢,٥٪ لا يثقون بالحكومة، ٩٠٪ يرون ان وضع البنية التحتية عند العرب في البلاد سيئة جدا، ويرى ٨٤٪ أن الخدمات الثقافية والتربوية تجاههم سيئة جدا،[٣٢] مقارنة مع نتائج استطلاع قام به كاتب هذه السطور من خلال مركز أبحاث CIDCM في جامعة ماريلاند الأميركية عام ١٩٨٨، نرى تدهوراً كبيراً متزايداً مع الوقت، في علاقة الدولة مع مواطنيها العرب. وأكد هذا التطور استطلاع سامي سموحة (٢٠٠١) الذي حدد ان ٥٧٪ يريدون إخراج الحزب الشيوعي عن القانون،

و ٦٤٪ يريدون إخراج الحركة الإسلامية عن القانون، وان ٤٢٪ يعتقدون ان على الدولة تشجيع هجرة العرب، ٣٧٪ يعتقدون ان العرب لن يصلوا مستوى التقدم الذي وصله اليهود، ٥٥٪ يعتقدون ان اسرائيل تعمل لمصلحة العرب بشكل كاف وربما اكثر من اللزوم، ويرى ٥٧٪ ان على الدولة التمييز ضد العرب.[٣٣] وتؤكد على هذا التطور كل من التقارير السنوية التي تصدرها جمعية سيكوي لدعم المساواة المدنية في اسرائيل، والخارطة الهيكلية الوطنية الشاملة تاما ٣٥ التي تم إعدادها بواسطة لجنة التنظيم العامة في اسرائيل وحظيت بمصادقة الحكومة عليها في شهر تشرين الثاني ٢٠٠٥ لتصبح قانونا، حيث تتجاهل وجود المواطنين العرب الحيزي كاملاً رغم تشكيلهم حوالي ٢٠٪ من سكان الدولة، وتتجاهل تطورهم الاجتماعي والاقتصادي والحضاري ومعالمهم التاريخية والدينية ولا تطرح حلولا لمشاكلهم الأساسية مثل المسكن والعمل والتعليم.

وهذا ما جعل مواطنين فلسطينيين في إسرائيل في السنوات الأخيرة يشعرون ان وجودهم أصبح في خطر الأمر، الذي يوجب العمل من اجل جمع القوى وتوحيد الطاقات وزيادة التأثير السياسي للجماهير العربية بزيادة وحدتها وترابطها. يقول احد النشيطين من الجبهة وممن حضروا مسيرة الوفاء: "مسيرة الوفاء للشهداء التي حدثت في بداية شهر تشرين الأول ٢٠٠٥ من كفر مندا الى عرابة البطوف، حيث وقف على رأسها قادتنا السياسيون، تجسد وحدة هذه القوى وتبرز، أكثر من أي وقت مضى، أن إمكانية خلق مثل هذا التحالف ليست فقط أمراً ممكناً بل حتمي." [٣٤]

على مستوى آخر، هناك توجه عند قادة الطرفين للاستفادة من فشل التحالف في الماضي الذي يعود بالأساس الى ثلاثة عوامل: أولا، عدم تجاوز الخلافات الشخصية بين القادة السياسيين من الطرفين. ثانيا، عدم التركيز على خدمة المصلحة العامة كما هو متوقع. ثالثا، عدم قراءة الخريطة السياسية بشكل صحيح. حين طلب من أحد الأحزاب العربية الانسحاب من الحملة الانتخابية عام ٢٠٠٣، لوجود دلائل موضوعية انه لن يعبر نسبة الحسم (الناتج الحاصل من تقسيم عدد الأصوات الصالحة في الانتخابات على عدد أعضاء الكنيست، ١٢٠)، رفض قائده هذا الطلب، وبالفعل لم يتجاوز ذلك الحزب نسبة الحسم. النتيجة كانت مخيبة بشكل كبير: خسر المواطنون العرب الفلسطينيون آلاف الأصوات هدرا رغم توجه رئيس لجنة الوفاق الوطني الذي حذر من هدر الأصوات، وطالب أي قائمة تدل استطلاعات الرأي على أنها لن تجتاز نسبة الحسم ان

اعتصام لاهالي شهداء هبة اكتوبر ٢٠٠٠

تتصرف بمسؤولية وطنية قبل يوم الانتخاب وذلك بالانسحاب من المعركة الانتخابية ودعوة مؤيديها للتصويت للقوائم الأخرى.[٣٥]

ونرى ان هناك تأثيراً لأي تطور قد يفهم من قبل المواطنين العرب بأنه تحد لهم في حياتهم. أشار استطلاع أجراه معهد "يافا" في تشرين الأول ٢٠٠٣ إلى ان ٦٥,٥٪ من الذين تم استطلاعهم "سوف يشاركون في الانتخابات". وترتفع نسبة التصويت الى ٦٩٪ إذا ارتفعت نسبة الحسم في الانتخابات الى ٢,٥٪. أي زاد استهداف الأحزاب العربية .

وكرد للتحديات الكبيرة التي تواجه العرب، اصدر شوقي خطيب، رئيس لجنة المتابعة العليا للجماهير العربية ورئيس اللجنة القطرية لرؤساء السلطات المحلية العربية في إسرائيل بيانا حث فيه القوى السياسية العربية على الوحدة. ومما جاء في البيان: "تقف الجماهير العربية في إسرائيل في هذه المرحلة أمام إحدى أهم الانتخابات البرلمانية في تاريخ البلاد..تستمد أهميتها من الظروف والتطورات والمتغيرات المتسارعة على المستوى المحلي والإقليمي والدولي. المشهد الذي نقف أمامه يتطلب تعاملا بأقصى جدية ومسؤولية وطنية، جماعيا ووحدويا، لتجاوز المخاطر المحدقة بمدى حضور وتأثير الجماهير العربية في الدوائر السياسية في إسرائيل بجرأة وشجاعة وحكمة في الوقت عينه." [٣٦]

عوامل مساعدة

يظهر مما ينشر من أخبار وتصريحات حالياً على أثر الإقرار الرسمي بتحديد موعد الانتخابات، ان كلا التجمع والجبهة يسيران بشكل منفرد في انتخابات ٢٠٠٦، وهذا الى جانب ما نشر عن قرار التجمع في شهر تشرين الأول ٢٠٠٥ اعتماد علم رسمي، يعكس كما نشر "هوية وانتماء وتطلعات"،[٣٧] إلا أن هناك العديد من العوامل المساعدة لزيادة التعاون والتنسيق وحتى ا لتحالف بين الطرفين، لان الواقع مأزوم، وتصرف هنا او هناك، او تصريح هنا او هناك،

تتصف فترة ما قبل الانتخابات بمحاولات فحص الأوراق التي يريد الحزب السياسي اللعب بها من أجل زيادة الربح وخاصة في ظل زيادة نسبة الحسم في إسرائيل الى ٢٪ الأمر الذي قد يعرض كلا الحزبين، الجبهة والتجمع، الى الفشل في ظل نجاح عمير بيرتس في قيادة حزب العمل، وبداية الراكضين من بين العرب للانضمام الى حزبه، والأنباء الواردة عن نية شارون تعيين عربي في وزارته القادمة، وانضمام رؤساء مجالس عربية الى صفوف حزبه الجديد من بينهم سامي عيسى، رئيس مجلس كفر قاسم وأحد أركان الحركة الإسلامية في إسرائيل (الجناح الجنوبي)، وتصريحات ربحي أمارة، رئيس مجلس محلي كفر كنا، وما تتضمنه من شن حملة على الأحزاب العربية الممثلة في الكنيست

وحتى اعتماد علم خاص للتجمع هي خطوات متوقعة لإثبات الذات على الحلبة السياسية قد تشكل ورقة في المفاوضات بين الطرفين، وهذا من حق كل تنظيم وكل حزب أن يفعله، ولا يتناقض مع محاولات التحالف. من أبرز العوامل المساعدة لقيام تحالف بين الجبهة والتجمع ما يلي:

١–وجود تأييد شعبي لمثل هذا التطور: هناك استعداد جماهيري لتقبل مثل هذه الفكرة. فقد دل استطلاع أجرته شركة أنير للأبحاث واستطلاع الرأي في أواخر شهر تشرين الأول ٢٠٠٠، شمل على عينة ممثلة عن العرب الفلسطينيين في اسرائيل، بحجم ٣٠١، ان ٦٥,٣٪ منهم يرون بتوحيد الأحزاب والقوائم العربية في حزب او قائمة واحدة أمرا مهما.[٣٨] بعد ثلاث سنوات ومع المزيد من التحديات والصعوبات، كشف استطلاع قام به مركز يافا ان ٦٨,٣٪ من المواطنين العرب في اسرائيل يؤيدون تشكيل قائمة عربية واحدة على ان يتم تشكيل القائمة بانتخابات مفتوحة "برايمرز" وليس بواسطة مراكز الأحزاب. قسم ممن عارض فكرة إقامة حزب عربي او قائمة عربية واحدة، في استطلاع شركة أنير، كان يهدف لإبقاء حزبين او كتلتين متنافستين على الساحة. ينبع هذا الموقف الشعبي من: أ) قناعة عند اعداد متزايدة من الجماهير العربية الفلسطينية في إسرائيل ان التحالف بين القوى الفاعلة على ا لساحة العربية يزيد تمكين المواطنين العرب، ب) يعرف الكثير من المواطنين ان كلا الحزبين وعدا، والتزما أمام الناخب العربي، وبشكل واضح وجلي أنهما يسعيان لتجميع القوى من اجل خدمة المواطن العربي. وفي جلسة نقاش حول هذا الموضوع، أشار العديد من المشاركين، ان التزامهم بالتحالف في الماضي لن يمر هذه المرة مر الكرام. على سبيل المثال، حدد المؤتمر ١٨ للحزب الشيوعي الإسرائيلي عام ١٩٧٦ المبادئ التالية التي ما زالت تحدد المواقف تجاه أية محاولة للتحالف مع الآخرين: "يؤكد ان الفوارق الفكرية يجب الا تمنع حشد كل القوى في النضال الحيوي من أجل السلام والديمقراطية...وأن النضال من أجل وحدة العمل يجب الا يمنع النقاش والصراع الأيديولوجي. هناك حاجة لبلورة استراتيجية عمل مع كافة القوى الأساسية الجدية التي تمثل العرب في هذه البلاد. ومن جهته أشار التجمع الى ضرورة التحالف لأن الظرف الإقليمي والعربي والمحلي لا يسمح بالرفاهية الأنانية والتعصب التنظيمي واحتكار العمل...[٣٩]

٢–الانتخابات القادمة: تتصف فترة ما قبل الانتخابات بمحاولات فحص الأوراق التي يريد الحزب السياسي اللعب بها من أجل زيادة الربح وخاصة في ظل زيادة نسبة الحسم في إسرائيل الى ٢٪ الأمر الذي قد يعرض كلا الحزبين، الجبهة والتجمع، الى الفشل في ظل نجاح عمير بيرتس في قيادة حزب العمل، وبداية الراكضين من بين العرب للانضمام الى حزبه، والأنباء الواردة عن نية شارون تعيين عربي في وزارته القادمة، وانضمام رؤساء مجالس عربية الى صفوف حزبه الجديد من بينهم سامي عيسى، رئيس مجلس كفر قاسم وأحد أركان الحركة الإسلامية في إسرائيل (الجناح الجنوبي)، وتصريحات ربحي أمارة، رئيس مجلس محلي كفر كنا، وما تتضمنه من شن حملة على الأحزاب العربية الممثلة في الكنيست، واعتقاد ان المواطنين العرب سيصوتون لشارون ولحزب العمل ولحزب الليكود لان النواب العرب، على حد تعبيره، منشغلون في القضايا الخارجية،

ولا يعيرون انتباها للمشاكل الحياتية اليومية للمواطن العربي"[٤٠] أمام هذا التطور ليس أمام قيادتي التجمع والجبهة إلا الاجتماع والتنسيق والتحالف لمنع الفشل. هذه حسابات باردة في السياسة، لا تعيب أحدا. ولا شك ان إمكانية تقريب الانتخابات في حينها كان وراء الاجتماع التنسيقي الذي عقد بين قيادتي الجبهة والتجمع في ٦ أيلول ٢٠٠٥ رغم حرص رؤساء الوفدين التأكيد ان الاجتماع لم يجر في أجواء انتخابية، وإنما كما حدد محمد بركة بكلماته، "بحكم المسؤولية الوطنية التي تقع على عاتقنا."

٣- ممارسات سياسية مشتركة وناجحة : تاريخ اللقاء في العمل الميداني بين نشطاء الجبهة(الحزب الشيوعي ومناصريه من المستقلين) والتجمع (أصحاب الفكر القومي ومستقلون) والمخضرمين من الجانبين للدفاع عن الحقوق الأساسية للمواطنين العرب كان حافلا منذ إقامة اسرائيل عام ١٩٤٨، واتسع ليأخذ دروبا معينة سنوات الخمسينيات من القرن الماضي حين حاولت القيادة الإسرائيلية أولا ترحيل المواطنين العرب، ثم بدأت حملة مصادرة الأراضي العربية لتهميش وإضعاف المواطنين العرب الفلسطينيين. منذ سنة ١٩٧٣ كان هناك الكثير من النشاطات التي التقى بها الطرفان ومن أبرزها يوم الأرض عام ١٩٧٦، خلال الانتفاضة الفلسطينية في مرحلتها الأولى ١٩٨٧-١٩٩٣، وفي مرحلتها الثانية ٢٠٠٠-، وخاصة على اثر هبة الأقصى حيث قامت قوات الأمن الإسرائيلية بقتل ١٢ مواطنا عربيا فلسطينيا لاحتجاجهم على دخول أريئيل شارون للمسجد الأقصى. في الكثير من النشاطات كان لحضور مندوبي الجبهة والتجمع حيز مهم، وفي أغلبها كان لهما مساهمة معنوية كبيرة، حيث أن مشاركة طرفين في نفس النشاط، تمنحه زخما كبيرا وتزيد من إمكانية نجاحه. كان آخر عمل مشترك، مهم وله أبعاد كثيرة على الطرفين، المشاركة الفعالة في مسيرة الوفاء للشهداء في هبة تشرين الأول ٢٠٠٠، في ١ تشرين الأول ٢٠٠٥ من قرية جت، المثلث، الى قرية عرابة البطوف، في مسيرة احتجاج عرجت على كل القرى والمدن العربية التي سقط من بين أبنائها شهداء في هبة تشرين الأول ٢٠٠٠. وسار قادة الجبهة والتجمع، الى جانب قادة مجموعات سياسية أخرى ورؤساء سلطات محلية عربية في مقدمة المسيرة. ولم يحاولا انتهاز هذه الفرصة لإثبات أنهم من قام بترتيب المسيرة كما حاولت بعض القوى استغلال الأمر بشكل غير لائق حين الدخول الى قرية عرابة. حين وجد محمد بركة ان أعضاء الحزب الشيوعي، من قرية عرابة البطوف، يرفعون

عمير بيرتس .. خطر على الاحزاب العربي

العلم الأحمر في مدخل القرية، وكانوا باستقبال المسيرة، أمرهم بتنزيل الأعلام الحمر، مؤكداً: "نحن ملتزمون أن لا نرفع علمنا." كبلوا أعلامهم بلمح البصر. الانضباط الذي أبرزه نشطاء التجمع والجبهة في نهاية المسيرة، كان مشهوداً يستحق التقدير.

يعود هذا التعاون لأسباب عدة من بينها: أولا، الأحداث مشتركة في تعبيرها عن الآلام والآمال. ثانيا، اعتقاد متزايد ان وحدة الجهد وزيادة المشاركة الفعالة في أي نشاط سياسي يجعله اكثر تأثيرا. ثالثا، استمرار اللقاء يخلق واقعا جديدا قد يزداد به التقارب إذا كانت هناك ثمار ومكاسب سياسية واضحة. أمثلة على تعاون بين الطرفين: ١) من يتصفح في الأشهر الأخيرة صحيفة التجمع (فصل المقال) وصحيفة الجبهة (الاتحاد) يرى مؤشرات لتقارب الطرفين وذلك بواسطة التركيز على النشاطات المشتركة وازدياد التعاون بين التجمع والجبهة على مختلف الساحات وخاصة في الكنيست. على سبيل المثال هناك اعتراف التجمع بنشاط الجبهة وهو مؤشر للاحترام المتبادل وثقة راسخة في مواقفهم مما نستطيع وصفه بنضوج سياسي.

حين تنشر أسبوعية التجمع، فصل المقال، الأخبار عن نشاطات الجبهة وبشكل واضح منذ عدة اشهر، حتى حين نشر خبر التنسيق بين القادة في ٩ أيلول ٢٠٠٥ دأب محررو فصل المقال الى بدء الحديث عن الجبهة أولا ثم عن التجمع ثانيا. ٢) نشرت فصل المقال خبرا تحت عنوان: "تقدمت كتلة الجبهة الديمقراطية للسلام باقتراح حجب الثقة عن الحكومة وعلى خلفية قرار بناء الحي الاستيطاني في قلب القدس.[٤١] ونشر أيضا في فصل المقال خبر عن عضو الكنيست عصام مخول، الى جانب صورته، وهو عضو كنيست عن الجبهة تحت عنوان "لجنة السلوك البرلمانية تعاقب النائب مخول مرة أخرى بسبب تصديه لسلوكها: مخول يتهم رئيس اللجنة بممارسة "إرهاب برلماني" وملاحقة سياسية"[٤٢] كما يمكننا الإشارة الى

من يتتبع القناة التلفزيونية للكنيست التي تدأب على بث جلسات الكنيست ولجانها بثاً حياً، ويستمع الى خطابات أعضاء الكنيست بشكل عام يجد فحوى في خطابات أعضاء الكنيست ممثلي التجمع والجبهة. بخطاباتهم يعالجون قضايا كثيرة ومتعددة مرتبطة بحياة المواطنين العرب بشكل مباشر أو غير مباشر. ولم يدحض ممثلو الحزبين الادعاء الذي يدور من وقت لآخر ومفاده ان العمل السياسي او المواقف الوطنية العامة للشعب العربي الفلسطيني تبعد النائب العربي عن معالجة قضايا الناس اليومية، مؤكدين انه لا يتم معالجة القضايا اليومية للناس بشكل صحيح "دون توفر مشروع سياسي وطني يتضمن المساواة...

قيام النائبين عزمي بشارة ومحمد بركة بمطالبة عقد جلسة خاصة للجنة المالية البرلمانية لمناقشة حملة جباية ضريبة الارنونا في الوسط العربي."[٤٣] ٣) التحالف البلدي في الناصرة بين الجبهة والتجمع حيث يلعب عضو التجمع في إدارة البلدية برئاسة رامز جرايسي، من زعماء الجبهة، دورا مهماً. ٤) تم انتخاب لجنة عمالية في الناصرة مكونة من التجمع والجبهة وقوى أخرى لمواجهة خطة فيسكونسين، الرامية في جوهرها الى زيادة البطالة والفقر بين السكان في الناصرة. حضر الاجتماع زاهر بولس سكرتير فرع الناصرة، والتجمع الوطني الديمقراطي حيث مثله في الاجتماع جهاد أبو العسل، سكرتير فرع التجمع في الناصرة.[٤٤] ٥) على اثر انتخابات لجنة الطلاب العرب في جامعة حيفا، في أيار ٢٠٠٥، وحصول حزب التجمع على ٥ مقاعد والجبهة على ٦ مقاعد وحصول أبناء البلد على مقعدين، توجه التجمع الطلابي في الجامعة الى الجبهة الطلابية للائتلاف لصالح الطلاب العرب عموما.[٤٥]

٤- قيادة حكيمة ومجربة عند كلا الحزبين: من يتتبع القناة التلفزيونية للكنيست التي تدأب على بث جلسات الكنيست ولجانها بثاً حياً، ويستمع الى خطابات أعضاء الكنيست بشكل عام يجد فحوى في خطابات أعضاء الكنيست ممثلي التجمع والجبهة. بخطاباتهم يعالجون قضايا كثيرة ومتعددة مرتبطة بحياة المواطنين العرب بشكل مباشر أو غير مباشر. ولم يدحض ممثلو الحزبين الادعاء الذي يدور من وقت لآخر ومفاده ان العمل السياسي او المواقف الوطنية العامة للشعب العربي الفلسطيني تبعد النائب العربي عن معالجة قضايا الناس اليومية، مؤكدين انه لا يتم معالجة القضايا اليومية للناس بشكل صحيح "دون توفر مشروع سياسي وطني يتضمن المساواة..."[٤٦]. والماضي ليس ببعيد. نذكر دور قادة التجمع والجبهة في ساحات الجامعات الإسرائيلية، وهذا ما يؤكد المقولة المتداولة أن اغلب القادة السياسيين يأتون من وراء مقاعد الدراسة في الجامعات. كانوا قادة في الحركة الطلابية في الجامعات الإسرائيلية في سنوات السبعين من القرن الماضي، وبتحالفهم (جبهة وحركة وطنية تقدمية وأبناء البلد)، تم تحقيق إنجازات مهمة من بينها إقامة لجان الطلاب العرب في الجامعات الإسرائيلية، إقامة الاتحاد العام للطلاب الجامعيين العرب في البلاد والمشاركة الفعالة في الحياة السياسية للجماهير العربية على مستويات كثيرة.

وخلال هذا التاريخ برزت، عند الحزبين، قيادة سياسية مجربة. فبعد قراءة ما يكتبه قادة كلا الحزبين وعلى وجه الخصوص د.عزمي بشارة ، محمد بركة ، عصام مخول، د. جمال زحالقة، د.محمود محارب، د. أحمد سعد، عوض عبد الفتاح، أيمن عودة، وتحليل ما يقولونه، يرجح الرأي انهم مجربون، يستفيدون من العبر، ويسيرون بحكمة وبثقة نحو المستقبل. استمعت الى قسم منهم في اجتماع التأبين للعالم الفلسطيني البروفسور سالم حنا خميس الذي أحب شعبنا فبادله شعبنا الحب، الذي وافته المنية في لندن بعد ان منع من العودة الى فلسطين عام ١٩٤٨ حين كان طالبا في الجامعة الأميركية في بيروت. كان أداؤهم رائعا.[٤٧]

٥- تحالف الجبهة والتجمع على المستوى القطري يزيد من نجاح وضع حد لشرذمة القوى المخلصة محليا ويوحدها في السلطات المحلية في القرى والمدن العربية التي تتميز اغلب إداراتها بالفساد والشلل وسوء الإدارة حيث تتسلط عليها طبقة زبائنية تسعى لخدمة مصالحها الذاتية عبر شركات ومصالح غريبة عن الوسط العربي،

الأمر الذي يشكل خطرا جديا هو أن هذه المضايقات والتمييز يعبران عن ثقافة سياسية عند الطرف الرسمي الإسرائيلي، برزت جليا في تصريحات القادة الإسرائيليين السياسيون. وبما ان السياسة في اسرائيل كانت، منذ سنوات طويلة، سياسة أحزاب، فهناك أهمية لمثل هذه التصريحات.

وسيلة ناجحة لامتصاص مقدراتنا وخيراتنا وتحويلها الى فئات اجتماعية هامشية في إسرائيل.[٤٨] وهذا ما يدخل ضمن ضرورة قيامنا بخلق نظام محلي، كي يساعدنا لتعويض ما يخلفه التجاهل الذي تمارسه السلطة المركزية في إسرائيل. عدم التطرق اليه ووضع نقاط واضحة يزيد التبعية والسيطرة المباشرة على كل نواحي حياتنا.[٤٩] قضيت أربع سنوات عضوا في مجلس محلي طلعة عارة ولم أجد سوى تحكم الجهل، فشل الإدارة وعدم اهتمامها بمصالح الناس.[٥٠] وما يجعل الأمر خطرا هو ان الانتخابات الأخيرة لمجلس طلعة عارة في حزيران ٢٠٠٥ أفرزت نتائج سلبية كان لعدم تحالف التجمع والجبهة دور في إتاحة الفرصة لقوى متربصة للعبث في مصالح المواطنين وتقدمهم وازدهارهم.

٦- ثقافة سياسية معادية في اسرائيل: يبدو انه ليس هناك توجه عند القيادات السياسية في إسرائيل لتخفيف العداء بين المواطنين اليهود والعرب. فبعد ان حاولوا التخلص من العرب في سنوات الخمسين ولم ينجحوا، حاولوا تغيير هويتهم الجماعية في سنوات الستين والسبعين ليصنعوا من المواطنين العرب "نتاجا إسرائيليا خاصا من نوعه"، ولم ينجحوا بشكل كامل (رغم وجود نجاح جزئي في خلق بلبلة في الهوية الجماعية للمواطنين العرب الفلسطينيين في إسرائيل) يحاولون اليوم زيادة العداء للمواطنين العرب بأشكال متعددة. ولم يكن تحديد لجنة اور بأن الشرطة الإسرائيلية تعامل المواطنين العرب بعداوة، إلا مؤشراً على هذا الواقع. وحتى ان لجنة اور نفسها التي تم تعيينها لفحص العلاقات بين الطرفين ترى بمظاهرات المواطنين العرب الاحتجاجية والشرعية، ساحات حرب.

الأمر الذي يشكل خطرا جديا هو أن هذه المضايقات والتمييز يعبران عن ثقافة سياسية عند الطرف الرسمي الإسرائيلي، برزت جليا في تصريحات القادة السياسية في إسرائيل. وبما ان السياسة في اسرائيل كانت، منذ سنوات طويلة، سياسة أحزاب، فهناك أهمية لمثل هذه التصريحات. فرحبعام زئيفي، رئيس حزب موليدت اليميني في إسرائيل ووزير سابق في إسرائيل، يمجد تراثه قانون جديد في إسرائيل وسيتم تدريس أقواله وإعماله في المدارس العربية[٥١] كان قد طالب بشكل واضح بترحيل العرب عن أراضيهم، وصرح يوما ان كل يهودي يساوي ألف عربي. أمثلة اخرى:[٥٢] أ) تصريح الوزير السابق إفي إيتان ومن قادة حزب "هائيحود هاليئومي" اليوم بعد انسحابه من حزب المفدال، ان "عرب اسرائيل هم قنبلة موقوته وسرطان في جسد الدولة وسنحتاج الى إعادة التفكير في استمرار قدرة الديمقراطية الإسرائيلية على السماع لهذا الجمهور للمشاركة بها". ب) تصريح افغدور ليبرمان، زعيم حزب الاتحاد القومي في اسرائيل حين وجه كلامه لأعضاء الكنيست العرب: "انتم مثل محمد ضيف، تريدون ان تدمروا الدولة ولو كنتم في دولة أخرى لكنتم في السجون." ج) مطالبة الوزير تساحي هنغبي، من ابرز زعماء الليكود (أنضم اليوم الى حزب شارون) اليهود بالهجوم على العرب بالعصي وطردهم من الأرض. فحين كان طالبا في الجامعة العبرية في منتصف سنوات السبعين من القرن الماضي، قام هو وعصابته بالهجوم على الطلبة العرب في الجامعة العبرية بالجنازير الحديدية.[٥٣] د) تهجم زئيف بويم، من زعماء الليكود، الذي كان في حينه نائب وزير دفاع ، (انضم اليوم الى حزب شارون)، على الإسلام والعرب حين صرح: "ماذا يوجد لدى الإسلام أصلا؟ وماذا يوجد لدى الفلسطينيين بشكل خاص. هل هذا تخلف حضاري وخلل في الجينات؟" ه) تصريحات يحئيل حزان، من زعماء الليكود سابقا (انضم الى حزب شارون) التي قال بها ان العرب هم ديدان في كل مكان تحت الأرض وفوق الأرض." و) تشبيه جدعون عزرا، وزير الأمن الداخلي الإسرائيلي (انسحب من الليكود لينضم الى حزب شارون)، المواطنين العرب بالكلاب حين قال إنهم يستطيعون "شم" إخوتهم العرب ويعرفونهم. وأضاف: "يوجد مواطنون عرب في دولة اسرائيل..هذه مصيبتنا الكبرى.." ويضيف حين يتكلم عن أعضاء الكنيست العرب: "دهامشة رجل برلمان جيد يحترم القانون..هناك أبناء عاهرات اكبر منه وكنت أؤيد أن لا يبقى البعض منهم أعضاء كنيست." ز) تصريح بنيامين نتنياهو القائل: يوجد لدينا مشكلة ديمغرافية لكنها لا تتمحور في

الفلسطينيين في المناطق وإنما في عرب إسرائيل" أصبحت الدعوة للطرد عبر الحدود مقبولة اليوم. ح) بيني الون، وزير السياحة الإسرائيلي السابق يذكرنا بوثيقة كينغ التاريخية التي نشرت في منتصف سنوات السبعين من القرن الماضي، حين يقول ان تصعيب التعليم العالي للطلبة العرب في البلاد يجبرهم على الترانسفير الطوعي، الهجرة خارج البلاد." ط) هناك في إسرائيل حاخامات يهود اقروا بأن الأمر التوراتي بمنع القتل لا يلائم حالة يقوم فيها اليهودي بقتل غير اليهودي لأن قتل غير اليهود في نظرهم ليس جريمة قتل.[٥٤] وعلى مستوى اخر، طلب حاخام صفد عدم تشغيل العرب وعدم طرح السلام عليهم والمتاجرة معهم.

٧- تشكل مجزرة شفاعمرو في ٤ تموز ٢٠٠٥ تطورا خطيرا في تاريخ المواطنين العرب، قد تشكل بداية مرحلة جديدة، حيث هاجم بها مستوطن يهودي يرتدي الزي العسكري ومسلح بسلاح الجيش الإسرائيلي، حافلة في مدينة شفاعمرو وقتل أربعة محليين وجرح ١٣ مواطنا آخرين. يقول أمير مخول: "نسفت هذه المجزرة أوهام ضمانات المواطنة، تشكل حدثا أكثر مما تعودت عليه الحركة السياسية والمؤسسات الفلسطينية في الداخل...لقد أصبحنا من دون حماية في وطننا وتحت وطأة عنصرية النظام وعنصرية الشارع. وتزامن بعد أسابيع من حدوثها، نشر قرار وحدة التحقيق في الشرطة الإسرائيلية، ماحاش، عدم تقديم مجرمي مجزرة هبة تشرين الأول ٢٠٠٠ للمحاكمة حين سقط ١٣ شهيدا عربيا بسبب قيامهم بالاحتجاج على زيارة شارون للمسجد الأقصى. فهمها الكثير من القادة السياسيين والمواطنين العرب في إسرائيل بأنها قرار يشرع قتل المواطن العربي. مع ان الأمر لم يكن جديدا، لكن حدوثه بهذه الحدية فاجأ الكثير. أشار استطلاع أجري عام ١٩٨٨ بعد أشهر من بداية الانتفاضة الفلسطينية، المرحلة الأولى، أن ٨٤,٢٪ من المواطنين العرب الفلسطينيين في إسرائيل لا يشعرون بأمن فيما يتعلق بمستقبلهم.

من ابرز مميزات هذه المجزرة: ١) لعب الدم والألم الغالي دوراً لتوحيد الجماهير العربية على مختلف طوائفها. فقد شكلت القوى السياسية الرئيسية الفاعلة على الساحة العربية وفي مقدمتها الجبهة، التجمع، وأبناء البلد، والحركة الإسلامية، لجنة شعبية لإحياء ذكرى شهداء المدينة والعمل على المحافظة على أمن المواطنين.[٥٥] ٢) تبين ان جميع سكان شفاعمرو حتى الدروز ممن يخدمون في الجيش الإسرائيلي، مستهدفون، ولم يفرق القاتل المجرم زادة، بين احد من سكان المدينة. بكلمات أمير مخول الصائبة: "من قتله الإرهابي كان صدفة ومن لم يقتله كان صدفة أيضا."[٥٦] ٣) إن التركيز الرسمي الإسرائيلي ووسائل الإعلام على قتل المجرم والمطالبة ببدء التحقيق مع من تصدوا بأجسامهم لرصاص المجرم، وكأن قتله هي الجريمة الوحيدة التي حدثت بشفاعمرو، لم تفاجئ الكثير. كان واضحا، ان ما يحدد تفكير السلطات الإسرائيلية في تناول هذه الجريمة هو ان ما قام به زادة ليس قتلا، لان هناك مجموعات يهودية تتسع تأثيرا في اسرائيل تعتقد ان "لا تقتل" لا تسير إلا على اليهودي. وان اليهودي الذي يقتل غير يهودي لا يعتبر قاتلا. فحين قام جنود بقتل ٤٩ مواطنا من سكان كفر قاسم عام ١٩٥٦، حوكموا، صوريا، وبعد "الإدانة" تم الإعفاء عنهم. ولم يتم محاكمة مرتكبي مجزرة يوم الأرض ١٩٧٦، ومجزرة هبة أكتوبر ٢٠٠٠. ٤) القاتل ترعرع في دفيئة الاحتلال والتمييز العنصري وما زال الاحتلال والتمييز مستمران ويتسعان مع الوقت طولا وعرضاً.

٨- وجود إصرار بين المواطنين العرب الفلسطينيين في إسرائيل على تحقيق الهدف بالاعتماد على الذات: إن وضوح الموقف والإصرار على الاستمرار لتحقيق الأهداف والتفاؤل بالنجاح، حتى ولو استمر الوضع سنوات طويلة، يشكل بحد ذاته مقاما مشتركا لكلا الحزبين، وخاصة لأن المواقف والأساليب متشابهة تتمحور حول نشاطات لضمان ظروف مناسبة حتى ولو كان هناك ضرورة لإتباع طريقة الاحتجاج السياسي الفعال. كشف بحث ميداني قام به كاتب هذه السطور ان هناك شعوراً عند اغلب المواطنين العرب في اسرائيل بأنه سيأتي يوم به يحققون أهدافهم بأياديهم وهم على استعداد لتحدي السياسة الرسمية من أجل الحصول على الحقوق الأساسية. وهناك شعور عند ٦٢,٤٪ من المواطنين العرب أن التصويت الاحتجاجي، مثل دعم الجبهة والتجمع سوف تولد في نهاية المطاف نتيجة ايجابية وتخلق واقعا جديدا. كذلك هناك توجه متزايد لدعم الأعمال الاحتجاجية ضد سياسة التمييز العنصري المتواصلة والمرتبطة برفض كوننا أقلية، او رفض كون اسرائيل دولة للشعب اليهودي.[٥٧] وتوصل سامي سموحة (١٩٨٨) في استطلاعاته بين المواطنين العرب بأن هناك ازدياداً متواصلاً مع الزمن في دعم اللجوء الى إضرابات شاملة بين المواطنين العرب، ارتفعت من تأييد ٥٥٪ من المواطنين عام ١٩٨٠، لتصل ٦١٪ عام ١٩٨٥ ولتصل ٧٤٪ عام ١٩٨٨. وتوصل سموحة ايضا الى ان هناك زيادة من ٤٤٪ عام ١٩٧٦ حتى ٥٢٪ عام ١٩٨٨ في اللجوء

التحالف بين الجبهة والتجمع يقلل البلبلة في الهوية الجماعية للمواطنين العرب الفلسطينيين في إسرائيل وهي ظاهرة وإن أنكرها البعض حرصاً على الروح المعنوية، من اخطر ما يواجه المواطنين العرب لأنها تعكس ضعفا في الاهتمام بالمصلحة العامة، وتعنى شرذمة وانعزالية وفي النهاية، ضياع.

لاحتجاجات فعالة لمواجهة سياسات التمييز بين المواطنين العرب الفلسطينيين في اسرائيل.

بالإضافة الى هذا، ساعد على هذا التطور اضمحلال الثقة بالسياسة الرسمية الإسرائيلية، وصل الأمر الى ان أية خطوة تقوم بها الحكومة في الاتجاه الصحيح لا يتم تفسيرها على أنها حسن نية بل "لقد تم إجبار اسرائيل لتعمل هكذا." ربما لأن هناك تزايدا في تحديد المصالح العامة اكثر مما كان من قبل رغم البلبلة، ولوجود قناعة عند المواطنين العرب بأنهم صادقون في موقفهم وأن مواقفهم عادلة. حدد ٥٧,٧٪ من المواطنين العرب عام ١٩٨٨ بأن إسرائيل سوف تعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية وسوف تتفاوض مع زعمائها، وهذا ما تم بالفعل عام ١٩٩٣ بتوقيع اتفاقيات اوسلو بين منظمة التحرير الفلسطينية وحكومة إسرائيل.

الاعتماد على الذات يتجسد في السنوات الأخيرة بإقامة الجمعيات والتنظيمات المختلفة. وعلى مستوى آخر يمكن اعتبار الدعم المتزايد لإقامة محطة تلفزيونية فضائية عربية مستقلة في اسرائيل أحد مؤشرات هذا التطور. في استطلاع شركة أنير للأبحاث واستطلاع الرأي في تشرين الأول ٢٠٠٠، أكد ٧٦,٣٪ من العينة ان إقامة محطة تلفزيونية فضائية عربية مستقلة في إسرائيل، هو أمر ضروري. في الوقت نفسه، هناك انخفاض عند ٧٦,٦٪ من المواطنين العرب في مصداقية وسائل الإعلام العبرية.

٩- التحالف بين الجبهة والتجمع يقلل البلبلة في الهوية الجماعية للمواطنين العرب الفلسطينيين في إسرائيل وهي ظاهرة وإن أنكرها البعض حرصاً على الروح المعنوية، من اخطر ما يواجه المواطنين العرب لأنها تعكس ضعفا في الاهتمام بالمصلحة العامة، وتعنى شرذمة وانعزالية وفي النهاية، ضياع. كشف استطلاع أجري على طلاب إحدى الكليات لإعداد المعلمين العرب في البلاد عام ٢٠٠١ وجود بلبلة في الهوية الجماعية التي تجمع الطلبة وتربط ما بينهم. ففي الوقت الذي به حدد الطلبة اليهود ثلاثة مركبات لهويتهم الجماعية: يهودي، إسرائيلي او كلاهما معا، حدد الطلبة العرب تسعة مركبات للهوية الجماعية، الأمر الذي يشير الى نمو ثقافة الشرذمة، وهو ما يلقي على القيادات السياسية العربية مسؤولية كبيرة، تقع اغلبها على قيادات الجبهة والتجمع بسبب وجود تقارب كامل بين الجبهة والتجمع في تحديد الهوية الجماعية: عرب فلسطينيون. يقول الدكتور احمد سعد، رئيس تحرير الاتحاد في مقال كتبه في الذكرى السنوية الأولى لرحيل ياسر عرفات: "يحيي شعبنا العربي الفلسطيني في مختلف أماكن وجوده، في المناطق الفلسطينية المحتلة، في الضفة الغربية والقطاع والقدس الشرقية المحتلة، وفي مختلف مواطن الشتات القسري في شتى أرجاء الدنيا، وفي داخل إسرائيل..."[٥٨]

جدول ١: الهوية الجماعية لطلبة كليات دار معلمين عرب. (٪)، ٢٠٠١ (المجموع ١٦٤)[٥٩]

الهوية الجماعية	النسبة المئوية
عربي	٢٣,٢
فلسطيني	١٢,٢
مسلم	١٤,٠
عربي فلسطيني	٧,٩
فلسطيني مسلم	٧,٣
فلسطيني مسلم عربي	٧,٩
إسرائيلي	١,٢
مواصفات ايجابية في الشخص[٦٠]	٩,٨
موقف حيادي (إنسان)	١٠,٤
ذكروا الهوية الفلسطينية	٢٨,٦
ذكروا الهوية العربية	٤٧,٥
ذكرو الهوية الاسلامية	٢٩,٨

١٠- عبر مسيرة طويلة لم يكن هناك فرق واسع بين حزب العمل وحزب الليكود، فهم يجتمعون في السياسة المعادية للمواطنين العرب بشكل خاص والعرب بشكل عام. على سبيل المثال، دل بحث ميداني

مواجهات تشرين الاول ٢٠٠٠ في ام الفحم.

اجري عام ١٩٨٨ بين المواطنين العرب في اسرائيل أنه لا يوجد هناك فرق واسع بين حكومة يرأسها شامير (الليكود) وأخرى يرأسها بيريس. وما انضمام بيريس لحكومة مع الليكود في السنوات الأخيرة، وانضمامه الى حزب شارون، كديما، إلا إثبات لصحة هذا التصور عند الجماهير العربية في إسرائيل. على سبيل المثال، وجد ٦٨,٨٪ من عينة البحث ان "حكومة بقيادة اسحق شامير ستقوم بزيادة أعمال الطرد وقتل الفلسطينيين،" وحدد ٤٨,٤٪ مقابل ٣٣,٢٪ ان "حكومة إسرائيلية برئاسة شمعون بيريس ستقوم بزيادة أعمال القتل والطرد ضد الفلسطينيين." مع هذا يتظاهرون من وقت لآخر بوجود خلافات مصطنعة حتى يمرروا سياساتهم بخلق واقع على الأرض. تجربة أحداث تشرين الأول ٢٠٠٠ حيث قتل ١٣ عربيا زمن باراك، وما جرى منذ تلك الأيام حيث قتل اكثر من ١٧ عربيا بواسطة الشرطة ومجزرة شفاعمرو في تموز ٢٠٠٥ في زمن شارون بيريس وبن اليعازر تشكل إثباتاً لصحة عدم وجود فرق بين الحزبين فيما يتعلق بالعرب. وصف الصحافي الإسرائيلي عكيفا الدار، صحيفة هارتس، ان اكبر صديق للمشروع الاستيطاني اليهودي في المناطق المحتلة منذ عام ١٩٦٧ هو شمعون بيريس نفسه.

١١- أحداث سياسية خارجية تزيد التحالف: وجد بحث ميداني قام به المؤلف ان أحداثاً خارجية شاركت بها اسرائيل مثل حرب الأيام الستة، حرب أكتوبر ١٩٧٣، مجزرة صبرا وشاتيلا، والانتفاضة الفلسطينية في مرحلتها الأولى، لها علاقة ايجابية أو تأثير ايجابي على دعم التقارب بين الجبهة والقوى الفاعلة الأخرى على الساحة العربية (كانت في زمان البحث كل من الحركة التقدمية حركة أبناء البلد والحزب العربي الديمقراطي). من ابرز ما توصل اليه البحث:[٦١] كلما زاد تأثير الأحداث الخارجية (حروب او أعمال عنف)، كلما زاد وعي العرب بواقعهم المأساوي الذي يعيشون به، وكلما زاد وعيهم لأهمية ولدور المصلحة العامة والهوية الجماعية في تحديد معالم تقدمهم، كلما زاد توجههم نحو التأطر في تنظيمات مشتركة، وكلما زاد استعدادهم، حينها، لتطوير وسائل نضال ضد سياسات التمييز والظلم لتحقيق المطالب المشروعة.[٦٢]

١٢- التجربة العالمية الناجحة: من يراقب ما يدور في العالم، يشاهد تكاتف القوى السياسية دولا وأحزابا ومنظمات وتحالفها، ما يشكل تطورات تاريخية في السنوات الأخيرة، وتزايدت مع حدوث تغييرات جغرافية-سياسية في ظرف به ازدياد سكاني وثروات محدودة في الوقت نفسه. تحطمت الكثير من الحواجز وبدأت تحالفات على مستويات عدة. فدول أوروبا الغربية والشرقية وضعت ماضيها المؤلم جانبا، وتحالفت في الاتحاد الأوروبي، لتصبح اكبر سوق اقتصادي في العالم ومن المتوقع ازدياد قوتها في المستقبل. في ألمانيا التقى الحزبان الكبيران المتناحران في تحالف في تشرين الثاني ٢٠٠٥ للمحافظة على استقرار ألمانيا وازدهارها. في أميركا الجنوبية نشاهد بداية تحالف القوى المناهضة للسيطرة الأجنبية بشكل لم يسبق له مثيل. سرد أولي لنضالات الشعوب في العالم يخطر بذاكرتنا الشعار العالمي الذي يردد بأصوات مجلجلة في الكثير من المظاهرات في مختلف بقاع العالم: ،The People United، will never be defeated" بمعنى ان الشعب الموحد، لا يهزم أبدا. رفعه الأفارقة الأميركيون (السود في الولايات المتحدة الأميركية) منذ بداية سنوات الستينيات من القرن الماضي ليخلقوا تاريخا جديدا بالنسبة لهم: انتصارات فرضوا أنفسهم بها على ساحات مختلفة.

الجبهة والتجمع: تشابه والخلافات الآن هامشية

في بداية أيار ٢٠٠٥ نشرت أخبار في الصحف العربية في البلاد، عن إمكانية اتفاق متوقع بين "التجمع" و"الجبهة" لتشكيل قائمة مشتركة في الانتخابات القادمة. وعقب جمال زحالقة، من قادة التجمع، قائلا: "هناك تنسيق في المواقف داخل البرلمان وتطوير لحوار حضاري بين التجمع والجبهة....إن هذا التنسيق هو مصلحة وطنية وضرورة سياسية واجتماعية وبأننا معنيون باستمراره وتعميقه". ومن طرف الجبهة علق احمد سعد، رئيس تحرير الاتحاد، بقوله: هناك مناخ صحي جديد الذي بدأت تهب نسائمه على ساحة العلاقات بين القوى السياسية المختلفة، مناخ الانتقال الى لغة الحوار

من يواكب التطورات السياسية على الساحة العربية عن كثب، يلاحظ إنه منذ ذلك الوقت لم تتوقف المطالب الشعبية والأكاديمية والعربية الرسمية لخلق تحالف بين الطرفين. ففي مهرجان حاشد للتجمع في كفر قرع، ناشد الأستاذ زهير يحيى، رئيس المجلس المحلي، التجمع والتيارات الوطنية الفاعلة "بالتوحد لمواجهة المخاطر القادمة المحدقة بوسطنا العربي في البلاد." وفي هذا الجو العام فسرت دعوة التجمع إلى تعزيز ومأسسة تعاون القوى السياسية ضد هدم البيوت" الذي اتخذه المكتب السياسي للتجمع في اجتماعه في النصف الأول من حزيران ٢٠٠٥، على أنها مؤشر للاستعداد من قبل التجمع لرص الصفوف والسير في اتجاه الوحدة لأن هدم البيت يحمل معاني كثيرة من أبرزها استمرار الوجود على أرض الجدود.

والتنسيق". وأصدرت الجبهة بيانا حول الموضوع أكدت به: "إن العلاقة مع التجمع الوطني الديمقراطي آخذة بالتحسن وهذا هو الأمر الطبيعي والمسؤول ولا سيما في هذا الوقت. "

من يواكب التطورات السياسية على الساحة العربية عن كثب، يلاحظ إنه منذ ذلك الوقت لم تتوقف المطالب الشعبية والأكاديمية والعربية الرسمية لخلق تحالف بين الطرفين. ففي مهرجان حاشد للتجمع في كفر قرع، ناشد الأستاذ زهير يحيى، رئيس المجلس المحلي، التجمع والتيارات الوطنية الفاعلة "بالتوحد لمواجهة المخاطر القادمة المحدقة بوسطنا العربي في البلاد." [٦٣] وفي هذا الجو العام فسرت دعوة التجمع إلى تعزيز ومأسسة تعاون القوى السياسية ضد هدم البيوت" الذي اتخذه المكتب السياسي للتجمع في اجتماعه في النصف الأول من حزيران ٢٠٠٥، على أنها مؤشر للاستعداد من قبل التجمع لرص الصفوف والسير في اتجاه الوحدة لأن هدم البيت يحمل معاني كثيرة من أبرزها استمرار الوجود على أرض الجدود.

بعد أربعة اشهر، في ٦ أيلول ٢٠٠٥، حدث اجتماع تنسيق أولي بين قيادتي الجبهة والتجمع منذ سنوات وهو بحد ذاته، كما اتضح مما نشر في وسائل الإعلام المختلفة، خطوة مهمة تعبر عن نوايا حسنة من قبل الطرفين للتوصل الى تحالف في نهاية المطاف. وكان لنشر صورة على الصفحة الأولى لأسبوعية فصل المقال، لسان حال حزب التجمع الوطني الديمقراطي في إسرائيل، في ٢٠٠٥\٩\٩، كتب حولها: "في ختام اجتماع تنسيقي بين القيادتين، الجبهة والتجمع يؤكدان على أهمية التعاون والتنسيق والحوار الحضاري"، وقع على القارئ يرمز الى نوايا التجمع الايجابي لتحرك نحو التحالف من وراء نشر هذه الصورة. البيان المشترك الذي صدر عن الاجتماع حمل في طياته رسائل مهمة نحو التوصل الى تحالف مستقبلي، من بينها: "جرى الاتفاق في الاجتماع على استمرار وتطوير التنسيق والحوار البناء بين الجبهة والتجمع، لما فيه مصلحة الجماهير العربية في البلاد وقضايا السلام العادل والديمقراطية وحقوق الانسان والعدالة الاجتماعية. واتفق الطرفان على استمرار التعاون بما هو متفق عليه على ان يجرى التعامل مع النقاط الخلافية بينهما في إطار الحوار الحضاري، استنادا الى مفاهيم التعددية السياسية والوطنية." [٦٤]

وما يزيد النظر اليه على انه بداية تحالف مستقبلي، ركز الجميع على ضرورة تجاوز ترسبات الماضي لبناء علاقة تعاون بين الطرفين. ويشار الى هذا عبر ثلاثة محاور:

أ) مشاركة القادة البارزين وإبراز أهميتها في نظرهم. شارك من جانب التجمع كل من النائب د. عزمي بشارة، رئيس الحزب، النائب د.جمال زحالقة، رئيس الكتلة البرلمانية، النائب واصل طه، عضو الكنيست، السيد عوض عبد الفتاح، سكرتير التجمع، السيدة إيناس الحاج، عضو اللجنة المركزية للحزب، د. باسل غطاس عضو المكتب السياسي للتجمع. وشارك من جانب الجبهة كل من النائب محمد بركة، رئيس مجلس الجبهة القطري، النائب عصام مخول، السكرتير العام للحزب الشيوعي، عودة بشارة، سكرتير عام الجبهة، جهاد عقل، سكرتير كتلة الجبهة في الهستدروت، بنيامين غونين وكمال ابو احمد وبرهوم جرايسي أعضاء السكرتارية القطرية.

ب) الرسائل التي حاول كل طرف إرسالها كانت متشابهة تمحورت

حول ضرورة توحيد الجهود. شملت الرسائل التي أراد إرسالها محمد بركة، رئيس الجبهة، في كلمته ما يلي: ١) اللقاء مهم لأنه يجري بين حركتين سياسيتين أساسيتين بين الجماهير العربية، ٢) يجري الاجتماع بحكم المسؤولية الوطنية التي نتحملها. ٣) رغم الماضي، الاجتماع يمثل حوارا ديمقراطيا حول النقاط الخلافية، ٤) يجب تطوير التنسيق الى مستوى التعاون في القضايا المتفق عليها. ٥) يجب إرسال هذا الى كافة الفروع ليترك اثرا ايجابيا على القاعدة. شملت الرسائل التي أرسلها د. عزمي بشارة، رئيس التجمع، على ما يلي: ١) الاجتماع مهم، ٢) التجمع بحث التحضير له منذ زمن طويل، ٣) ينهي فترة سلبية من العلاقات ويفتح صفحة جديدة، ٤) لا علاقة للاجتماع بالأجواء الانتخابية التي تلوح في الأفق، ٥) يجب إنزاله الى جميع الفروع كي ينتهي الجو السلبي الذي كان سائدا.

ج) رسائل موحدة في البيان المشترك الذي احتوى على ما يلي: ١) الاتفاق على استمرار وتطوير التنسيق والحوار البناء بين الجبهة والتجمع لما فيه مصلحة الجماهير العربية في البلاد. ٢) يؤكد مواقف مشتركة للجبهة والتجمع في قضايا عديدة من بينها خطة فك الارتباط الشارونية حيث يرونها غطاء لخطة لسد الطريق أمام أية إمكانية للتوصل الى سلام عادل. ٣) يدعو البيان قوى السلام في اسرائيل لإلقاء وزنها في المعركة لخلق فرصة لحل سياسي ينهي الاحتلال والاستيطان في الضفة الغربية والقدس العربية ولحل مشكلة اللاجئين. ٤) لا يرى الطرفان مجزرة شفاعمرو على أنها تصرف انفرادي وإنما جريمة مشبعة بالأحقاد العنصرية البهيمية التي تغذيها سياسة المؤسسة الحاكمة وصناع الرأي العام في اسرائيل وقوى سياسية مركزية. ٥) التصدي للمخاطر الجسيمة التي تحملها ما تسمى بخطة تطوير الجليل والنقب التي يتولى تنفيذها شمعون بيريس حيث تهدف الى التهويد على حساب الجماهير العربية وأراضيها. ٦) تجنيد وتوحيد كل الطاقات لمواجهة محاولات محاصرة الوجود العربي في الجليل والنقب من خلال سلب الأراضي،وهدم البيوت والمساس بالمقدسات وتضييق الخناق على التجمعات السكنية العربية فيها. ٧) التمسك بلجنة المتابعة للجماهير العربية وتطويرها كقيادة جماعية للجماهير العربية في اسرائيل. ٨) مواجهة السياسة الاقتصادية الحكومية تجاه العرب التي تزيدهم فقرا وتزيد معاناتهم. ٩) ضرورة تكثيف النضال ضد فرض الخدمة العسكرية الإجبارية لأبناء الطائفة الدرزية. او محاولة تمرير ما يسمى بالخدمة الوطنية على الشباب العرب. ١٠)صيانة الوحدة الوطنية النضالية للأقلية القومية العربية الفلسطينية داخل اسرائيل والتصدي لأية محاولة لشق هذه الوحدة. ١١) اجتثاث ظاهرة العنف والتسيب في المجتمع العربي التي تنمو على أرضية العدمية القومية وعقلية الاستهلاك والتأجيج السلطوي. ١٢)أهمية التصدي للمحاولات البائسة لإعادة الأحزاب الصهيونية الى القرى العربية، ١٣)قطع دابر العمالة لليمين الإسرائيلي وغيره. ١٤) تعميق المعركة على الديمقراطية في مواجهة التشريعات العنصرية في الكنيست. ١٥) إيجاد قواعد أوسع للعمل العربي اليهودي من أجل السلام العادل والديمقراطية الحقيقية والمساواة القومية والمدنية.

تحليل للبيان المشترك يظهر ان الطرفين قادمان من نفس قاعدة الانطلاق ويبغيان التوصل الى أهداف محددة في اغلبها مشتركة. حين قرأ احد النشطاء من الجبهة وآخر من التجمع البيان المشترك اجمعا بتقييمها على ما يلي: ١) نقاط الاتفاق بين الطرفين أساسية في المرحلة التاريخية التي نعيش بها اليوم. ٢) يجب ان لا يذكرنا احد بوجود خلافات ويجب عدم التطرق الى الماضي حيث كانت خلافات، وإنما الى الحاضر والمستقبل. نعيش في وضع إذا اختلفنا خسرنا الطرفان. ٣) طالبت الجبهة منذ سنوات السبعين بضرورة خلق التحالف مع القوى الأخرى حتى لو كان هناك خلاف إيديولوجي، وطالب التجمع ببلورة استراتيجية عمل حد أدنى مع كافة القوى الجدية في هذه البلاد. وتطوير خطة عمل لمنع السلطة الإسرائيلية الاستفراد بأي حزب عربي.

- في مجال العلاقات اليهودية العربية في إسرائيل حدد التجمع انه لا يستطيع القيام بمهامه الوطنية والديمقراطية دون ترسيخ التعاون اليهودي العربي على أساس مبادئ المساواة الكاملة والاحترام المتبادل ورفض الاحتلال. وترى الجبهة للتعاون العربي اليهودي طريقا مهماً في نضالها. يقول احمد سعد: "نجدد قسمنا الكفاحي بأن نواصل دربنا النضالي والعمل لتجنيد أوسع وحدة صف كفاحية يهودية–عربية، عربية–يهودية، تضامنا مع الكفاح العادل للشعب الفلسطيني لإنجاز حقه الوطني بالحرية والدولة والقدس والعودة."[٦٥]

ولم تأت هذه المواقف المشتركة من فراغ. سوف نستعرض فيما يلي مقتطفات من مبادئ ومواقف كل طرف لنرى انها متشابهة في جوهرها:[٦٦]

من مبادئ التجمع :[٦٧]

١.يحق للشعوب تحت الاحتلال مقاومة الاحتلال، وأثبتت هذه المقاومة استحالة مفهوم فرض القوة الإمبراطورية المطلقة. علاقتنا مع العنف عموما كانت من زاوية نظر الضحية. (ص.٣٢).

٢.هناك انظمة عربية كالنظام العراقي تتخذ من القومية العربية إيديولوجية تبريرية لنظام قمعي يبحث فيها عن مصدر شرعية.

٣.المواطنة هي المسألة التي تواجه الثقافة السياسية العربية في المرحلة الراهنة على مستوى حقوق المواطن في علاقته مع مؤسسات الدولة وفي علاقته مع المواطنين الاَخرين. هناك مجال للعمل القومي الديمقراطي في إطار مواطنة فرضت على أهلنا بعد النكبة الذي أبرز تناقضا بين يهودية الدولة وديمقراطيتها بعد ان كان التركيز على التناقض بين صهيونية الدولة وبين ديمقراطيتها، ليصبح المطلوب في هذه المرحلة ان يقبل العرب ان هذه الدولة لليهود. إما ان يخدموا في جيشها وإما ان يقبلوا حالة التمييز. وإعادة الاعتبار للخطاب القومي العربي بصيغة جديدة. فالهوية القومية العربية توحد عرب الداخل في هويتهم العربية.

٤.المساواة بين المحتل والواقع تحت الاحتلال في مقولات مثل "طرفي الصراع" ليست تعبيرا عن براغماتية بقدر ما هي تعبير عن عجز يرافقه انحطاط ثقافي وسياسي يأدلجه.

٥.موقف التجمع هو موقف سياسي قومي ديمقراطي.

٦.يتحدث عن المواطنين العرب في اسرائيل على أنهم "فلسطينيو الداخل" ويطالب ان تكون الدولة لجميع مواطنيها. وهذا ما يخلق تناقضا بين الصهيونية وموضوع المواطنة. وهناك أساس عقلاني وأخلاقي لموقف ديمقراطي معاد للصهيونية.

٧.زيادة تمكين المواطنين العرب ارتكازا على: أنهم سكان البلاد الأصليين، وأنهم مواطنون.[٦٨]

٨.مهمة التجمع الأساسية هي الربط المستمر بين البعد الوطني والقومي والبعد المدني.

٩.على التجمع ان يساهم مساهمة فعالة في تنظيم المواطنين العرب من أجل الدفاع عن حقوقهم على أساس وطني اجتماعي شامل.

١٠. النضال السياسي يجمع بين النضال المدني داخل اسرائيل والاعتراف بالحقوق القومية الجماعية للأقلية العربية كأقلية قومية.

١١. يجب الاعتماد على الذات، بترسيخ وعي قومي ووطني وليس اعتماداً على مد قومي أو وطني خارجي.

١٢. ينظر التجمع الى أميركا على انها إمبراطورية، سلوكها إمبريالي يوجه أساسا للسيطرة على الثروة الطبيعية وابتزاز الأنظمة السياسية. ثانيا، النظام الأميركي ليس نظاما فدراليا يتبع مزاج هذا الزعيم او ذاك..يتضمن متسعا لتأثير جماعات المصالح وضغط الرأي العام وهناك إمكانيات لا حصر لها لخلق الاتصال مع المجتمع المدني الأميركي..

من مبادئ الجبهة :[٦٩]

* تهدف الجبهة الى منع حرب جديدة ولتحقيق السلام، وللدفاع عن الحريات الديمقراطية وحقوق العاملين وللمساواة في الحقوق للجماهير العربية، ولإلغاء التمييز الطائفي.[٧٠]

وبشكل مركز نستطيع الاشارة، الى البرنامج السياسي والاجتماعي للجبهة:

* الجماهير العربية في إسرائيل جزء لا يتجزأ من الشعب العربي الفلسطيني ومن مواطني دولة اسرائيل في الوقت ذاته.
* رغم تحالفه مع الاتحاد السوفياتي قديما ومحافظته على علاقات جيدة مع روسيا، تعتبر الجبهة النظام السوري نظاما رجعيا قام بمجازر ضد الشعب الفلسطيني، ومعادياً للقيادة الشرعية للشعب الفلسطيني ومنظمة التحرير الفلسطينية.
* مساواة الجماهير العربية في إسرائيل مع اليهود في كافة المجالات، ومن ضمنها الاعتراف بهم كأقلية قومية، يجب إلغاء كل القوانين والأنظمة المميزة ضد الجماهير العربية، وإلغاء كل أمر مميز ضد الجماهير العربية، احترام اللغة العربية كلغة رسمية، وأن تؤمن، بواسطة قانون، كل الحقوق الأساسية للجماهير العربية، إشراك المواطنين العرب على قدم المساواة في جهاز الدولة،
* الحركة الصهيونية هي حركة عنصرية رجعية وتشكل عكازة للاستعمار في المنطقة.[٧١]
* الولات المتحدة الأميركية استعمار عدواني متحالف مع انظمة التخاذل في المنطقة.

هناك خلافات وهي في الحقيقة اتهامات يوجهها طرف تجاه الطرف الآخر، وهذا أمر متعارف عليه في العمل السياسي وخاصة حين تكون المنافسة على الشرائح الاجتماعية نفسها. لكن، حين نناقشها بشكل حيادي نستطيع تحديد أن أغلبها لا يرتكز على أرضية موضوعية حين نتحدث اليوم من واقع المواطنين العرب الذي يسير نحو الهاوية.

خلافات هامشية

لا ندعي عدم وجود خلافات بين الجبهة والتجمع في عدة قضايا فكرية سياسية، إلا اننا نرى انها، في هذه المرحلة التاريخية، حيث العالم أصبح قرية صغيرة متشابكة والتحديات التي تواجه المواطنين العرب مهمة واساسية، خلافات هامشية،[٧٢] ونستطيع إرجاع أغلب الخلافات بين الجبهة والتجمع الى ثلاث مجموعات: ١) خلافات جدية ولكن الظروف السياسية المرحلية، تقلل من مركزيتها، ٢) خلافات هامشية لا تلعب دورا في التطور الاجتماعي للمجتمع العربي، ٣) خلافات عفا عنها الزمن وليس هناك ضرورة لإبرازها.

هناك خلافات وهي في الحقيقة اتهامات يوجهها طرف تجاه الطرف الآخر، وهذا أمر متعارف عليه في العمل السياسي وخاصة حين تكون المنافسة على الشرائح الاجتماعية نفسها. لكن، حين نناقشها بشكل حيادي نستطيع تحديد أن أغلبها لا يرتكز على أرضية موضوعية حين نتحدث اليوم من واقع المواطنين العرب الذي يسير نحو الهاوية. أمثلة:

* انتقدت نشرة للتجمع، الجبهة بأن "ليس لها مشروع سياسي وطني"[٧٣] فمن يقرأ أدبيات الجبهة، طروحات قادته ومقررات مؤتمراته منذ عشرات السنوات لا يجد، دلائل واضحة وأساسية لدعم هذا الموقف. ونرى مكانا مهماً في هذا السياق للاجتهادات في الكثير من المواضيع.
* يرى أيمن عودة، احد قياديي الجبهة، ان التجمع لا يتعامل مع قضية السلام كقضية مركزية.[٧٤] فمن يقرأ أدبيات التجمع، ومن يتابع نشاطات قادتها على مستويات عدة يخرج بانطباع ان هذه القضية هي محور ما يقومون به. وهم لا ينكرون هذا. فحين يتهمون أنهم يركزون على قضية السلام، ولا يتحدثون كثيرا عن القضايا الداخلية، يؤكدون وجود ارتباط كبيرة بين قضية السلام في المنطقة وتقدم وتطور الجماهير العربية الفلسطينية في إسرائيل.
* يقول ايمن عودة: "لقد قام التجمع على أساس ثلاث نقاط مركزية وهي: تحويل اسرائيل الى "دولة لجميع مواطنيها، الاعتراف بالعرب كأقلية قومية، وللحكم الذاتي الثقافي للجماهير العربية في إسرائيل".[٧٥] من يتابع أدبيات الجبهة، ويحاول تفسيرها والتفكير في إمكانية وضع خطط لتطبيقها على ساحة الواقع، لا يجد وضعا مغايرا بشكل كبير.
* ينتقد ايمن عودة التجمع ب "انعزاله القومي وعدم رؤية الأمور في شموليتها.." (ص، ٢٩). فمن يصدق مثل هذا، حين يقرأ في البرنامج السياسي للتجمع مركزية البعد القومي الديمقراطي الليبرالي؟
* اتهام أيمن عودة التجمع بأنه "لا يولي القضايا الاجتماعية والاقتصادية اهتماما كافيا ولا يهمه أبدا موضوع النقابات العمالية..ولا يشترك في أي انتخابات فيها..." (ص.٣٠)، ليس له أساس لان التجمع يشارك في الانتخابات العمالية والنقابية، فله ممثل في الهستدروت، وممثلوه يشاركون في الاتحادات العمالية والطلابية والمهنية على كافة المستويات.
* يتهم ايمن عودة التجمع بعدم الاهتمام بقضية المرأة بشكل جدلي شمولي حيث لا يهتم بالقضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تشكل أرضية للتمييز ضد المرأة. (ص، ٣١). ويأتي بمأخذ عدم حضور عزمي بشارة للتصويت على تعديل قانون الأحوال الشخصية (بروتوكوالات الكنيست، ٥ تشرين الثاني ٢٠٠١)، الذي يقلل من أهمية المحاكم الشرعية الإسلامية. هذا ليس دقيقاً، للمرأة في أدبيات التجمع مكان مهم، وبين صفوفه الكثير من النشيطات البارزات من أمثال أفنان إغبارية، المرشحة الرابعة في قائمة الكنيست في انتخابات ٢٠٠٣، حنين زعبي، رئيسة جمعة إعلام التي تلعب دورا مهماً في الدفاع عن صورة العربي في الاعلام العبري وتأهيل صحافيين عرب. بالإضافة الى هذا، تشغل المربية وجدان عثامنة منصب عضوة في المجلس البلدي في مدينة بلدية باقة الغربية–جت، المثلث.

طرح متشابه

هناك الكثير من القواعد المشتركة بين التجمع والجبهة من أبرزها:

- تنظر الجبهة والتجمع الى المواطنين العرب في إسرائيل على انهم عرب فلسطينيون، كجزء لا يتجزأ من الشعب الفلسطيني ومن الامة العربية. نصت وثيقة ٦ حزيران ١٩٨٠ التي تقف الجبهة من ورائها على ما يلي: "لم ننكر حتى لو جوبهنا بالموت نفسه، أصلنا العريق: إننا جزء حي وواع ونشيط من الشعب الفلسطيني. لم نتنازل ولا يمكن ان نتنازل عن حق هذا الشعب في تقرير مصيره وفي الحرية والاستقلال على ترابه الوطني." [٧٦] وتحدد ادبيات التجمع ان العرب في اسرائيل هم جزء من الشعب العربي الفلسطيني، وحتى يصفونهم من وقت لآخر بفلسطينيي الداخل.
- يرى الطرفان ان الحل للصراع يرتكز بالأساس على انسحاب اسرائيل الى خلف حدود الخامس من حزيران ١٩٦٧ وتحقيق حق العودة للاجئين الفلسطينيين.
- ما كتبه محمد بركة، رئيس الجبهة، عن ياسر عرفات في الذكرى الاولى لاستشهاده، وقد اصبح رمزا لتاريخ الشعب الفلسطيني، لا يختلف عما تطرحه ادبيات التجمع:[٧٧] يقول بركة ما يلي: "ياسر عرفات...الزعيم والمناضل الشجاع والأب والأخ والصديق....أحببته وأحب أبنائي وعائلتي...وقف على رأس المشروع الفلسطيني الأول لاستعادة ملامح القضية الوطنية للشعب الفلسطيني وإخراجها من سياق التداول، الذي كان قائما بأنها قضية لاجئين وحقوق إنسانية، الى قضية شعب أجلي عن وطنه ويناضل من أجل تقرير مصيره...قاد مشروع إقامة منظمة التحرير عنواناً وطنياً وسياسياً للشعب الفلسطيني في ظروف مستحيلة... وقف على رأس مشروع المقاومة الفلسطينية لاستعادة الحقوق المسلوبة للشعب الفلسطيني، عبر محطات كثيرة وصعود وهبوط على مدار ما يقارب ٤٠ سنة...أنجز استقلالية القرار الفلسطيني ووحدانية تمثيل منظمة التحرير للشعب الفلسطيني...وقف على رأس الجهود الفلسطينية الناجحة لتثبيت وتعزيز الحضور الدولي للشعب الفلسطيني وقضيته... وقف على رأس المشروع الفلسطيني لصيانة معنوية وصمود الشعب الفلسطيني...قال لا لإملاء أميركي وإسرائيلي بدفعه للتفريط بقضية شعبه...وقف على رأس مشروع إعادة اللحمة الوطنية للشعب الفلسطيني فاحتضن أبناء شعبه الفلسطيني الذين تشبثوا بوطنهم وتعرضوا لتعسف المؤسسة الإسرائيلية وظلمها وعنصريتها وتعرضوا لظلم ذوي القربى من العرب الذين خونوهم لمجرد بقائهم في وطنهم. ترك بصماته الناصعة على المحطات والمفاصل المركزية، التي تشكل مجموع مكونات القضية للشعب الفلسطيني... وثمة مشهد رسمه ياسر عرفات بأن الاستسلام ليس قدرا منزلا وأن الصمود خيار واقعي. وهذا هو ارثه الى يوم الدين."
- حيال القومية العربية وقائدها في العصر الحديث، جمال عبد الناصر، للطرفين موقف مشابه. ففي الوقت الذي يضع التجمع مكانة مهمة لجمال عبد الناصر، ويكون يوم ثورة ٢٣ يوليو ذكرى احتفالات عند التجمع، يصف د. احمد سعد جمال عبد الناصر بالرئيس خالد الذكر جمال عبد الناصر، " وفي الذكرى الخامس والثلاثين لرحيل جمال عبد الناصر تخصص له الاتحاد صفحتين كاملتين.[٧٨]
- كلاهما يدعو الانسجام بين القيم الوطنية والقيم الإنسانية العليا، والعدالة الاجتماعية والنهج الديمقراطي في العمل والتعددية الفكرية، والالتزام بحقوق الإنسان وحق الشعوب في تقرير مصيرها، ورفض كافة أشكال التمييز العرقي والجنسي والديني والقومي.
- كلاهما يريد ان يحظى المواطنون العرب بكامل حقوقهم كاملة في اسرائيل. يبرزها التجمع عن طريق مطالبته "دولة جميع مواطنيها" وتبرزها الجبهة بمطالبة المساواة الكاملة بين العرب واليهود. ليس هذا فقط، بل يرى قياديون في الجبهة ان شعار التجمع " دولة لكل مواطنيها" يعود بالاساس الى الجبهة حيث تم اقراره عام ١٩٩٣ بواسطة الجبهة كما يلي: "ناضلنا وسنواصل النضال بإخلاص من أجل الحقوق القومية الكاملة للجماهير العربية في إسرائيل، حتى تكون إسرائيل دولة لكل مواطنيها." [٧٩]
- في مجال العلاقات اليهودية العربية في إسرائيل حدد التجمع انه لا يستطيع القيام بمهامه الوطنية والديموقراطية دون ترسيخ التعاون اليهودي العربي على أساس مبادئ المساواة الكاملة والاحترام المتبادل ورفض الاحتلال. وترى الجبهة للتعاون العربي اليهودي طريقا هاما في نضالها. يقول احمد سعد: "نجدد قسمنا الكفاحي بأن نواصل دربنا النضالي والعمل لتجنيد أوسع

وحدة صف كفاحية يهودية–عربية، عربية–يهودية، تضامنا مع الكفاح العادل للشعب الفلسطيني لإنجاز حقه الوطني بالحرية والدولة والقدس والعودة. "[٨٠]

- الاعتراف بحقنا في إدارة شؤوننا الذاتية في القضايا التي تميزها عن بقية المواطنين وعلى رأسها قضايا التربية والتعليم.
- العمل على تطوير مجتمعنا على أسس تقدمية متنورة.
- دعم وتشكيل وتطوير مؤسسات وطنية عربية طوعية.
- العمل على وقف مصادرة الأراضي والاعتراف بالتجمعات العربية غير المعترف بها.
- التعاون مع كافة القوى اليهودية التي تشاركنا التطلع الى المستقبل.
- كلاهما يعترفان بالعرب في اسرائيل ك "أقلية قومية" وذلك من اجل خلق حق مواطنة لهم في الوطن في الظروف التي يعيش بها المواطنون العرب. ويقومون بمثل هذا، رغم ان استطلاع ١٩٨٨ قد دل ان ٦٦,٧٪ من العينة الممثلة للمواطنين العرب في إسرائيل يرفضون المقولة التالية: "سيقبل العرب في إسرائيل استمرار وضعهم كأقلية داخل الدولة".

تلخيص

موضوع تحالف الجبهة والتجمع قبل انتخابات الكنيست في آذار ٢٠٠٦، ولو كان بغية النجاح في الانتخابات العامة نفسها، هو أمر مركزي، وخاصة أن له علاقة قوية بالتأثير السياسي للمواطنين العرب في إسرائيل. زاد الاهتمام بهذا الموضوع مؤخرا على اثر استمرار تعرض المواطنين العرب لتمييز عنصري من قبل الحكومات الإسرائيلية، وأوضاعهم تزداد سوءاً مع مرور الزمن. وهذا ما يخلق تحديات كثيرة تطلب توحيد الطاقات. فتحالف الحزبين الذين حصلا معا على اكثر من نصف الأصوات العربية في انتخابات ٢٠٠٣، على قاعدة الخط الأدنى حيث تجمعهم قواسم مشتركة كثيرة تزيد قوة المواطنين العرب السياسية، تمنع هدر الطاقات، وتفجر طاقات في اتجاهات مختلفة، وتزيد من تأثير النشاط السياسي وهو أمر ضروري للتقدم.

هناك إدراك متزايد عند الجماهير العربية في إسرائيل لأهمية النضال البرلماني. فمن خلاله يمكن التأثير في مجالات مختلفة على الساحة المحلية والقطرية والدولية لخدمة المصالح الحيوية وخاصة في ظل وجود قيادات تتمتع بقدرات وتجربة طويلة وترعرعت في البيئة السياسية نفسها. استطاعت الإبداع وحققت انجازات متعددة من أبرزها توعية الجماهير العربية لحقوقها وزيادة تمسكها بهويتها العربية الفلسطينية. في الوقت نفسه، هناك اعتراف بوجوب الإنجاز في الكثير من المجالات. هناك الكثير من العوامل المساعدة لتحالف الطرفين، وإن وجدت خلافات فهي، في الظروف التي يعيش بها المواطنون العرب الفلسطينيون في إسرائيل، هامشية.

إن إمكانية قيام التحالف قائمة ويمكن تطبيقها، لو توفرت الإرادة السياسية الصادقة عند القياديين في كلا الحزبين. استطلاعات للرأي العام، وحلقات نقاش اشترك فيها أكاديميون عرب، ونشطاء في كلا الحزبين، تشير الى إمكانية خلق تحالف ثابت وناجح.

هوامش ومراجع

[١] كان اجتماع لممثلي الأحزاب الممثلة في الكنيست في قرية اكسال في ٢ كانون الأول، ٢٠٠٥ حضره كل من طلب الصانع، عن القائمة الموحدة، احمد طيبي عن القائمة العربية للتغيير، محمد بركة عن الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة، عبد المالك دهامشة، عن القائمة الموحدة، وسعيد نفاع عن التجمع الوطني الديمقراطي. وقد بث الاجتماع بثا حيا في قناة "الجزيرة مباشر".

[٢] صرح عزمي بشارة ان قوة التجمع في ارتفاع. (الصنارة، ٢٥ تشرين الثاني ٢٠٠٥).

[٣] أنظر مقابلة مع واصل طه، عضو الكنيست من الحزب التجمع الوطني الديمقراطي. فصل المقال، ٢ كانون الأول ٢٠٠٥.

[٤] من بين رؤساء المجالس المحلية المتهافتين على اجتماع غدعون عزرا في كفر قرع، كان عبد السلام شبلي، رئيس مجلس شبلي–تل الغنم، ومحمد فوزي جبارين، رئيس مجلس طلعة عارة الذي يشمل القرى التالية: مصمص، مشيرفة، البياضة، زلفة وسالم في شمال المثلث الشمالي.

[٥] زهير اندراوس، الافتتاحية، صحيفة كل العرب، ٩ كانون الأول ٢٠٠٥.

[٦] هذا ما قاله أيضا عزمي بشارة في مؤتمر الحزب في منطقة الشاغور، فصل المقال، ٢ كانون الأول ٢٠٠٥، ص، ١٧.

[٧] د. احمد سعد، رئيس تحرير صحيفة "الاتحاد"، حيفا، (صحيفة حال الحزب الشيوعي الإسرائيلي والجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة) طالب ان يقوم مفكرون وقادة سياسيون بمناقشة "الازمة" التي تعاني منها قوى اليسار في إسرائيل. صحيفة الاتحاد، ١٠ تشرين الأول ٢٠٠٥.

[٨] صحيفة الاتحاد، حيفا، ١١ تشرين الثاني ٢٠٠٥.

[٩] كاتب هذه السطور كان طالبا في الجامعة العبرية في القدس في سنوات السبعين، وهو يشهد على ذلك.

[١٠] تفاصيل حول دمج ثلاث نظريات علمية في مجال الصراعات في العالم نظرية Ted Robert Gurr، ونظرية Charles Tilly ونظرية Theada

Skocpol ومطابقتها لحال المواطنين العرب في إسرائيل استنادا على بحث علمي أجري عام ١٩٨٨ بواسطة كاتب هذه السطور،انظر:

Eghbarieh Massoud "Arab Citizens in Israel: the Ongoing Conflict With The State"، a Ph.D dissertation، submitted to the Government and Politics Department، University of Maryland، College Park، USA، 1991.

[١١] الصنارة، ٢٥ تشرين الثاني ٢٠٠٥.

[١٢] لتفاصيل حول هذا الطرح انظر:

Asher Arian Politics in Israel، revised ed. Chatham New Jersey: Chatam House Publishers Inc.، 1989.

[١٣] معاريف، ١٣ كانون الأول ٢٠٠٥.

[١٤] للمزيد من التفاصيل حول هذه النتيجة وغيرها انظر:

Eghbarieh Massoud "Arab Citizens in Israel: the Ongoing Conflict With The State"، a Ph.D dissertation، submitted to the Government and Politics Department، University of Maryland، College Park، USA، 1991. (Chapter 2)

[١٥] حول المزيد عن نتائج الاستطلاع في قضايا مختلفة راجع ملاحظة رقم ١٠.

[١٦] فصل المقال، ٢ كانون الأول ٢٠٠٥.

[١٧] حين يتحدث باسل غطاس على الأحزاب الثلاثة فيقصد، ارتكازا على موقف التجمع نفسه، ما يلي: التجمع، الجبهة والحركة الإسلامية بشقيها الشمالي والجنوبي.

[١٨] فصل المقال، ٢ كانون الأول ٢٠٠٥.

[١٩] تحدث في أمسية حول الانتخابات القادمة، عقدت في قرية اكسال، قرب الناصرة في ٢ كانون الأول ٢٠٠٥ وبثت على الجزيرة مباشر.

[٢٠] تحدث عن هذا الموضوع د. احمد سعد، رئيس تحرير الاتحاد وأشار الى ان التقصير قد أدى الى "انخفاض منسوب عطائها المؤثر بين الجماهير على صياغة القرارات السياسية والاجتماعية المتعلقة بمسار تطور المجتمع..(الاتحاد، حيفا، ١٠ تشرين الأول ٢٠٠٥.)

[٢١] انظر على سبيل المثال تصريح جمال زحالقة في الأسبوع الثالث من شهر تشرين الثاني ٢٠٠٥ (الصنارة، ٢٥ تشرين الثاني، ٢٠٠٥)

[٢٢] فصل المقال، ٢ كانون الأول ٢٠٠٥.

[٢٣] الصنارة،٢٥ تشرين الثاني ٢٠٠٥

[٢٤] أنظر بتمعن كتاب Toynbee مختصر دراسة التاريخ، المجلد الأول، ص ٨٦. أنظر أيضا، شوقي ابو خليل، الحضارة العربية الإسلامية: موجز عن الحضارات السابقة، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٤، ص ٢٠-٢٤.

[٢٥] فصل المقال، ٢ كانون الأول ٢٠٠٥.

[٢٦] تقييم د. اسعد غانم الذي يشير الى "تطورات أساسية". للمزيد من التفاصيل راجع:

Strategic Report of the Palestinian Forum for Israeli Studies، 2005، MADAR، Ramallah.

[٢٧] أنظر خطاب محمد بركة، رئيس مجلس الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة، ٢ شباط ٢٠٠٥ في الحشد الاحتفالي التي أقامته جبهة الناصرة بمناسبة الذكرى الثلاثين لتأسيسها. انظر على موقع الانترنيت التالي:

www.aljabha.org/q/index.asp؟f=3317111488

[٢٨] الاستطلاع أجراه بروفسور افرايم يعار من جامعة تل أبيب بعد أحداث تشرين الأول ٢٠٠٠.

[٢٩] مقال لأيمن عودة، ص، ٢٨ على موقع الانترنيت:

http://www.aljabha.org/q/indesx.asp؟f=aiman.htm

[٣٠] للمزيد من المعلومات حول وضع المواطنين العرب، انظر:

As'ad Ghanem and Muhannad Mustafa (eds) "Civic Developments Among the Palestinians in Israel"، The Second Annual Report – 2005، Ibn Khaldun – the Arab Association for Research and Development، Tamrah، Galilee.

[٣١] Yousef Jabareen، The Master Plan of Israel: The Im-pact on Arab Minority in Israel، March 1، 2005. Accessible at: www.almash-had.com

[٣٢] كل العرب، ٣٠ كانون الأول ٢٠٠٤.

[٣٣] نشرة رقم ١ صادرة عن مركز رابين، تل ابيب، تموز ٢٠٠٢.

[٣٤] اللقاء كان في قرية مصمص، في بيت محمود صالح محمود اغبارية، يوم الجمعة ١٧ كانون الثاني ٢٠٠٣.

[٣٥] لجنة الوفاق الوطني مركبة من كل من: الشاعر سميح القاسم، محمد على طه، د. عطالله حنا، السيد محمد زيدان، والياس جبور. نشر نص البيان في فصل المقال (أسبوعية التجمع الوطني الديمقراطي، ٢٤ كانون الثاني ٢٠٠٣

[٣٦] كل العرب، ٩ كانون الأول ٢٠٠٥.

[٣٧] حول علم التجمع الجديد الذي حوى اللون البرتقالي، وعليه أربعة ألوان علم الثورة العربية او العلم الفلسطيني، انظر تقرير في فصل المقال، ٢١ تشرين الأول، ٢٠٠٥.

[٣٨] اشرف على الاستطلاع، المدير العام لشركة انير للابحاث واستطلاع الرأي العام، الدكتور مسعود أحمد اغبارية. أجري في ٣٠ -٣١ من شهر تشرين الاول ٢٠٠٠ أي بعد شهر من احداث تشرين الأول حيث قامت القوات الاسرائيلية بقتل ١٣ مواطنا عربيا وجرحت المئات.

[٣٩] كتيب وزع من قبل التجمع تحت عنوان "خلفية البيان السياسي" في المؤتمر الرابع لحزب التجمع في آذار ٢٠٠٤.

[٤٠] لاحظ ما كتبه زهير اندراوس في صحيفة كل العرب، ٩ كانون الأول ٢٠٠٥.

[٤١] فصل المقال، ٢٩ تموز ٢٠٠٥

[٤٢] فصل المقال، ٢٩ تموز ٢٠٠٥

[٤٣] صحيفة كل العرب، ٦ أيار، ٢٠٠٥.

[٤٤] فصل المقال، ١٥ تموز، ٢٠٠٥

[٤٥] الفجر الجديد، ١٨ أيار، ٢٠٠٥.

[٤٦] في البرلمان، تقرير ملخص عن عمل النواب عزمي بشارة، جمال زحالقة وواصل طه،ممثلي التجمع الوطني الديمقراطي في السنة الأولى من الكنيست السادسة عشرة. بدون تاريخ ، الصفحة الأولى.

[٤٧] عقد الاجتماع التأبيني في الناصرة في فندق سانت جبرائيل، يوم السبت ٢٠ آب ٢٠٠٥.

[٤٨] أحد الطرق التي تزدهر بها هذه الطبقة الزبائنية عبر حصولها على عطاءات محلية بواسطة استعمال شركات ليست محلية لتحصل منها في النهاية على نسبة ضئيلة ليذهب القسم الأكبر من رأس المال الى أماكن أخرى. وبهذا يزيد المجتمع جهلا وفقرا وتبعية اقتصادية وسياسية على قدم وساق.

[٤٩] انظر مقال د. خليل نخلة، "مجلس الرامة المحلي بين الشلل والعائلية والطائفية المدمرة"، فصل المقال، ٢ أيلول ٢٠٠٥.

[٥٠] كنت قد قدمت عشرات المذكرات ووجهات النظر المكتوبة حول هذا الموضوع لأعضاء المجلس في الكثير من الجلسات. ووجدت ان هناك تواطؤاً من قبل السلطات المسئولة مع مثل هذا التصرف. ويعتبر سكوتها عن عدم تعيين مراقب داخلي في المجلس، وهو أمر مهم لضبط الإدارة السليمة، مثالاً على مثل هذا التواطؤ.

[٥١] اعتماداً على استجواب قدمه النائب محمد بركة لوزيرة المعارف والرياضة، لبنات، ونشر الجواب في شهر تشرين الأول ٢٠٠٥.

[٥٢] للمزيد يمكن العودة الى تقرير المؤسسة العربية لحقوق الانسان على أثر مجزرة شفاعمرو الذي نشر في أيلول ٢٠٠٥.

[٥٣] تكونت عصابته من مهووسين من اليمين المتطرف وكان على رأسهم كل من اسرائيل كاتس، وافيغدور ليبرمان.

[٥٤] للمزيد من التفاصيل حول هذا الفكر انظر، مسعود اغبارية ومحمود أبو غزالة، (١٩٨٤) "غوش ايمونيم: ما بين النظرية والتطبيق" ، جمعية الدراسات العربية، القدس.

[٥٥] فصل المقال، ١٩ آب ٢٠٠٥.

[٥٦] فصل المقال، ٢ أيلول ٢٠٠٥.

[٥٧] حول المزيد عن نتائج الاستطلاع وحول التوجه لدعم الأعمال الاحتجاجية المتعلقة بشرعية دولة اسرائيل بأعينهم، انظر:

Eghbarieh Massoud "Arab Citizens in Israel: the Ongoing Conflict With The State"، a Ph.D dissertation، submitted to the Government and Politics Department، University of Maryland، College Park، USA، 1991.

[٥٨] انظر صحيفة الاتحاد، ١١ تشرين الثاني ٢٠٠٥.

[٥٩] البحث اجري في كلية لإعداد المعلمين العرب اغلب طلابها من منطقة المثلث. مع أننا لا نستطيع التعميم على كافة الطلاب العرب في الكليات في البلاد الا ان ما وجدناه يشكل خارطة طريق واضحة للتقسيم الذي يعاني منه المواطنون العرب في تحديد هويتهم الجماعية.

[٦٠] من المواصفات الايجابية التي تم تعريف الطالب نفسه بها ما يلي: نغش، حلو، ذكي، جذّاب،

[٦١] تكون التجمع من نشطاء من كل من الجبهة، الحركة التقدمية، وحركة أبناء البلد، ونشطاء مستقلين اغلبهم من الأكاديميين، أصحاب مهن حرة.

[٦٢] أرسلت هذه الدراسة للنشر تحت عنوان: "Transnational and Political–Ethnic Conflicts: Impact on Arabs in Israel" في الدورية: Journal of Holy Land Interdisciplinary Studies الصادرة في لندن.

[٦٣] فصل المقال، ١٧ حزيران ٢٠٠٥.

[٦٤] فصل المقال، ٩ أيلول ٢٠٠٥

[٦٥] مقال للدكتور احمد سعد، رئيس تحرير صحيفة الاتحاد، حيفا، ١١ تشرين الثاني ٢٠٠٥.

[٦٦] اعتمدنا على عدة مصادر، ١) نشرة التجمع البرلمانية في نهاية السنة الأولى من الكنيست السادسة عشرة. ٢) مقالات كتبها محمد بركة وتم نشرها، ٣) مقال شرح لتاريخ الجبهة أعده أيمن عودة ونشر على موقع الجبهة الالكتروني، aljabha.org

[٦٧] نرتكز في هذا السرد على كتيب وزع من قبل التجمع تحت عنوان "خلفية البيان السياسي" في المؤتمر الرابع لحزب التجمع في آذار ٢٠٠٤.

[٦٨] هذا مبدأ مهم في رؤيا مستقبلية سليمة. وهو نفسه ما رددده، ربما بنفس الكلمات، محمد بركة، رئيس الجبهة في اجتماع اكسال الانتخابي لمختلف القوى السياسية العربية في الكنيست في ٢ كانون الأول، ٢٠٠٥.

[٦٩] للمزيد من التفاصيل انظر أيمن عودة على الموقع التالي:
http://www.aljabha.org/q/indesx.asp؟f=aiman.htm

[٧٠] قرار الحزب الشيوعي في مؤتمر ١٨ عام ١٩٧٦

[٧١] اقتباس أتى به ايمن عودة (ص ٢٧) من المؤتمر السادس عشر للحزب الشيوعي الإسرائيلي.

[٧٢] حدد د. اسعد غانم في التقرير السنوي ٢٠٠٥، لمركز ابن خلدون، طمرة، نقاط الخلاف التالية: ١)يطالب التجمع بدولة جميع مواطنيها، ٢) يطالب التجمع باستقلال ذاتي ثقافي للمواطنين العرب، ٣) يحاول التجمع الجمع بين القومية والديمقراطية الليبرالية من خلال التركيز على الهوية القومية ومساواة في المواطنة، ٤) ينتقد التجمع اتفاقيات السلام بين اسرائيل ومنظمة التحرير، ٥) يعبر عن عدم رضاه من الطريقة التي تدار بها السلطة الفلسطينية.

[٧٣] ذكر هذا في كتيب نشر بواسطة حزب التجمع، تحت عنوان "خلفية البيان السياسي" وقدم في المؤتمر الرابع لحزب التجمع في ٥–٦ آذار ٢٠٠٤.

[٧٤] من اجل المزيد من التفاصيل انظر أيمن عودة ص:٢٥ على الموقع التالي:
http://www.aljabha.org/q/indesx.asp؟f=aiman.htm

[٧٥] راجع مقالة ايمن عودة المذكورة في ملاحظة ٦٨، ص ٢٥.

[٧٦] كان من المقرر ان يعقد على أساسها مؤتمر الجماهير العربية الأول الذي قام مناحيم بيغن بحظره في الأول من كانون الأول ١٩٨٠،

[٧٧] الاتحاد، حيفا، ١١ تشرين الثاني ٢٠٠٥.

[٧٨] الاتحاد، حيفا، ٢ تشرين الأول ٢٠٠٥.

[٧٩] كتاب المؤتمر الثاني والعشرين للحزب الشيوعي الإسرائيلي، كانون الثاني ١٩٩٣، ص٥٨.

[٨٠] مقال للدكتور احمد سعد، رئيس تحرير صحيفة الاتحاد، حيفا، ١١ تشرين الثاني، ٢٠٠٥.